جامعة المنصورة

كليـة الآداب

ماهية استنارة القلوب

What is Enlightment

إعـداد

د. نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

قسم الفلسفة اداب المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد الثانى و الستون – يناير ٢٠١٨

ماهية استنارة القلوب

What is Enlightment

د. نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين

تمهيـــد:

اختارت الباحثة هذا العنوان استنارة القلوب كي يكون بديلا مناسبًا في اللغة العربية للعنوان الذي اختاره ريتشارد بويك R. Buke(١)هو في مقدمته لكتاب الاستنارة Illumination لأن عنوان استنارة القلوب هو المعبر عن حالة الاستنارة التي هي غاية الصوفي من رحلة التطهر. وأما أنها استنارة القلب فلأن القلب هو المقصود بالاستنارة والكشف كما هو الحال في التصوف الاسلامي.

فالصوفي العارف يعد قلبه لكي يكون منصة قابله للتجلي الالهي وكي يحظى بشهود قلبي حين يتحول القلب الصنوبري المكون من لحم ودم إلى لطيفة ربانية تستضئ بالنور الالهي. وهذا النوع من الكشف مؤسس على البصيرة أو الرؤية الكشفية التي لا تستند على منطق عقلي أو سند علمي بل هي نتيجة للفضل الالهي والمنة وتضافر مجموعة من الملكات التي تنشأ في القلب أو تدور حوله.

وتمهد الباحثة في هذا السياق بالمفاهيم التي قدمها كل من أبو حامد الغزالي في القرن الخامس الهجري، ومحيي الدين بن عربي في القرن السادس الهجري لنوعين من القلوب المستنيرة وإن تباينت من حيث الشكل إلا أنها متفقة من حيث الوظيفة التي هي في النهاية تحقيق الكشف الذي يعلو على المكان والزمان ويُنظر إلى هذا النوع من القلوب باعتباره حاسة مقدسة لا تعمل في الزمان أو المكان على حد تعبير «سيتورات» أو «J. A. Stewart» ، وكما يعرض له كل من الغزالي وابن عربي.

كما أن الضرورات العلمية تفرض تتبع مفهوم الكشف والاستنارة كما عرض لها العديد من الباحثين الغربيين من أمثال: وولتر هلتون، ورينولد نيكلسون، وكريسماس همفري، وغيرهم ممن قدموا دراسات جادة في مجال دراسة حالة الكشف الصوفي ولحظة اللازمان التي يتم فيها الاتصال وتحدث خلالها عملية الاستنارة أو الكشف النوراني المحمل بالعلوم اللدنية أو الكاشف لرموز الغيب.

ولسوف نحاول من خلال هذه الدراسة استكشاف العلاقة بين لحظة الكشف النوراني في الفكر الإسلامي وما جاء في هذا العمل الذي قامت الباحثة بترجمته إلى اللغة العربية.

أولا: ماهية الاستنارة :

تتحدث الأديان سواء كانت حكمة أرضية أو ديانات سماوية عن حالة يصل إليها العابد بعد أن يقطع رحلة التطهر في الطريق إلى المطلق وإلى الله جل شأنه وهي حالة من تمدد الوعي واليقظة الكاملة التي يجتازها العابد إلى لحظة

---

(1) Evelyn Underhill ،A study in the nature and the Development of Man's Spiritual Consciousness London. P. 150.

الاستنارة كما هو الحال في البوذية الزينية مثلا zen Buddhism

والاستنارة في هذه الحالة تمثل لحظة تلاشي الأنا الخاصة أو الأنا الفردية بحيث لا يبقى أي أثر للذات أو ما يطلق عليه مصطلح «ego» . وهي تمثل لحظة الدخول أو الاندماج في النور الكلي أو إلى بوذا المستنير أو اللا مولود، اللا متشكل، اللا متأصل the unborn; the unformed; the unorginated.(٢)

وهي أيضا تمثل النتيجة النهائية لحالة الوعي الواعي أو اليقظة الواعية Consciousness Awareness أو الوعي بالذات That التي تمثل الالهام السامي إنها أيضا لحظة النفس واللا نفس Atman and no Atman(٣).

وهذه اللحظة التي يحقق فيها الصوفي أقصى درجات الوعي بالألوهية هي التي يحدث عنها الفيلسوف الأمريكي وليم جيمز في كتابه الموسوعي تنوع الخبرة الدينية أو خبرات دينية متنوعة The varieties of Religious Experience.

ويطلق عليها اصطلاحا «الوعي الكوني» . «The Cosmic Consciousness»

أو مصطلح الوعي الصوفي الحاد أو العميق « Extreme State of Mystical Consciousness» . (٤)

بينما يتعمق المعنى الروحي عند صوفية المسلمين فتشتق حالة الاستنارة أو استنارة القلوب في التصوف الاسلامي من اسم من اسماء الله تعالى.

« وهو النور أو الوجود الظاهر في صور الأكوان كلها وقد يطلق عليه ما يكشف المستور من العلوم الدينية والواردات الالهية التي تطرد الكون عن القلب» . يقول ابن عربي: «النور كل وارد يطرد الكون عن القلب » (٥).

ويقول التهانوي في كشاف اصطلاحات العلوم والفنون:

«إن النور الالهي هو نور ذات الله تعالى» ونور الأنوار هو الحق تعالى، والنور هو اليقين الذي هو النور الكاشف للحجاب، ويقال له نور الايمان، وإذا كان عند رفع الحجاب صار يقينا وقيل أن الفرق بينهما كالفرق بين الأعمى والبصير إذا أخبر بطلوع الشمس. (٦)

والنور من أسماء الله تعالى وهو الذي يعبر بنوره ذو الصحابة ويرشد بهواه ذو الغواية، وهو الظاهر الذي به كل الظهور، والظاهر في نفسه

---

(2) Christmas Humphreys; Exploring Buddhism ، London ،p. 67

(3) Ibid p. p. 60 80. See too:
إبراهيم ياسين (الدكتور)، الفكر الشرقي القديم واستكشاف البوذية، الطبقة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٣٩.

(4) William James; The Varieties Of Religious Experience; London 1975 ،p. p. 371 -385.

(٥) كمال الدين عبد الرازق القشاني، اصطلاحات الصوفية، تحقيق الدكتور محمد كمال جعفر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١ مادة النور ص ٩٨.

(٦) التهانوي، كشاف، اصطلاحات الفنون والعلوم، مادة النور، ص ١٥٤٨.

المظهر لغيره – قال تعالى: (الله نور السموات والأرض) (٧).

وضرب مثلا بنورلا مثيل له في الشرق أو الغرب.

فهو نور من (زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار)– وهو – نور على نور «وهو نور الهداية أو به تضاء القلوب والعقول (يهدي الله لنوره من يشاء)».(٨)

والنور هو مبدأ الخلق به استنارة الظلمات وأشرقت «فخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود» . (٩)

ولولا النور ما ظهرت الممكنات وهو عين قول رسول الله ﷺ في دعائه « اللهم اجعل في سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي شعري نوراً – حتى قال: واجعلني نوراً ».(١٠)

ويجعل «ابن عربي» النور مبدأ الوجود والادراك لذلك فكل وجود أو خير هو نور لأصله الالهي مقابل العدم والشر ظلمة.

«فالوجود نور، والعدم ظلمه، ونحن في الوجود، فنحن في الخير، وهكذا صفة كل نور إنما جاء ليظهر ما طلع عليه، فلا تدركه الاشياء إلا لك» . (١١)

فالنور الالهي أنار الكون فأوجده وأنار الانسان فأصبح جامعا للحضرة الالهية والحضرة الكونية الانسانية، فأفاده التجلي علما بما رآه، لا علمًا بأنه هو الذي أعطاه الوجود فلما انصبغ بالنور التفت إلى اليسار فرأى العدم فتحققه فاذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من الشخص إذا قابله النور فقال ما هذا؟ قال له النور من الجانب الأيمن هذا هو أنت، فلو كنت أنت النور ما ظهر للظل عين. (١٢)

وهكذا يستضئ الظل بالنور وبه يظهر ولولا النور ما كان الظل، والظل نسبة إلى العدم والنور نسبة إلى الوجود، ونور الأنوار هو مصدر كل نور وكل وجود.

فاذا ما أضاء قلب العبد واستضاء بالنور انكشفت اسرار العيون وتجلت الأنوار على القلوب وعما بين القلب من الاسرار والعلوم العجائب

يقول ابن عربي «اعلم أن التجلي عند القوم ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب» وهو على مقامات مختلفة فيها ما يتعلق بأنوار المعاني المجردة عن المواد من المعارف والأسرار ومنها ما يتعلق بأنوار الأنوار، ومنها ما يتعلق بأنوار الأرواح وهم الملائكة، ومنها ما يتعلق بأنوار

(٧) الآيات من سورة النور رقم ٣٥.

(٨) الآيات من سورة النور رقم ٣٥.

(٩) سعاد الحكيم (الدكتورة)، المعجم الصوفي، مادة النور، ص ١٠٨٠، ١٠٨١.

(١٠) المعجم الصوفي، ص ١٠٨١.

(١١) ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق د. عثمان أمين، د. عثمان يحيى، الهيئة العامة للكتاب، مصر، السفر الثاني، ٤٨٦.

(١٢) الفتوحات المكية، السفر الثاني، ص ٣٠٤.

الرياح، ومنها ما يتعلق بأنوار الطبيعة، ومنها ما يتعلق بأنوار الاسماء، ومنها ما يتعلق بأنوار المولدات، والامهات والعلل، والاسباب ومراتبها، فكل نور من هذه الأنوار اذا طلع من أفق ووافق عين البصيرة سالما من العمى– وأفات الأعين كشف بكل نور ما انبسط عليه».(١٣)

ولما كانت الأنوار التي تشرق على القلوب بمعنى الحقائق وتمثل مبدأ الخلق والادراك والايجاد فان ابن عربي يجمل هذا في قوله

اذا بدت سبحات الوجه فاستتر

فالنور يذهب بالأعيان والأثر

وأنظرإلى من وراء النورمستترًا

ترا الضياف معن فيه بالبصر

وقل لقلبك أمسك عنه شاهده

فعند ردك تلقى لذة النظر(١٤)

فاستتر حتى لا تحرق وأعلم أن النور يذهب بالأعيان والأثر لأن النور يضئ ضده والاعيان ضد النور لذلك تضئ لأنها عدم وظلمه.

وهكذا يرتبط النور بالكشف والمشاهدة.

***الاستنارة والكشف:**

الكشف النوراني كما لاحظنا هو استنارة القلوب بفضل العناية الالهية، وهذه الاستنارة تقع في القلب هبه من الله وفضل يؤتيه من يشاء من أوليائه، ويصبح الكشف ملازما لنوع من الادراك الفائق للحس لأنه قرين التجلي المرتبط بالمشاهدة أو بدون التجلي بشرط المكاشفة، وإن كانت المكاشفة ممكنه بدنوهما. (١٥)

ويحدد ابن عربي درجات خمس للمكاشفة تبين امتداد المكاشفة من العقل إلى القلب إلى السرإلى الروح كي يستند العبد وهي على النحو التالي:

١ – مرتبة الكشف العقلي: وبه تنكشف معاني المعقولات وتظهر اسرارالممكنات و الكشف النظري.

٢ – الكشف القلبي: وهو استنارة القلوب بأنوار المشاهدة.

٣ – الكشف السري: ويكشف أسرار المخلوقات وحكمة خلق الموجودات وهو بالإلهام ويسمى إلهاميًا.

٤ – الكشف الروحي: وفيه تظهر العوالم غير المتناهية والجنات والنعيم ويرتفع حجاب الزمان فيحصل الاطلاع على الماضي والمستقبل.

٥ – كشف خفي: وهو أن ينكشف الله تعالى بصفات الجلال أو الجمال ويسمى كشًا صفاتيًا فإن انكشف بصفة العالمية تظهر العلوم الدينية، وإن انكشف بصفة السمعية يظهر استماع الكلام والخطاب، والكشف البصري قرين الرؤية والمشاهدة، فإذا كان الجلال الإلهي فهو ما يحصل حال الفناء. ومع كل نوع من التجلي تحدث المشاهدة

(١٣) الفتوحات المكية، السفر الثاني، ص ٣٠٥

(١٤) يراجع في شأن النور، ابن عربي في الفتوحات المكية، ج ٢، ص٣٠٥ النور. . . ص ٤٥٤، ٤٨٨، ٦٢٢، راجع ترجمان الاشواق، ص ٤٢.

(١٥) ابن عربي، تحفة السفرة، محمد صالح الماحي، دار الكتاب اللبناني، ص١٤.

من نوع التجلي سواء كان تجلي الجمال أو القيومة أو البقاء أو الوحدة. (١٦)

وهذه الأنواع كلها متعلقة بالقلب والذوق وأدواتها المتعلقة بها كما يعددها «رينالدو نيكسون» R. A. Nicholson في أدوات ثلاث هي:

أ- القلب الذي يعرف الله.

ب - الروح التي تحبه.

جـ - السر الذي يتأمله أو ما يمكن أن يطلق عليه أرض الروح The Inmost ground of the Soul(١٧).

ومدركات هذه الحواس هي مما يعلو على المكان والزمان Solmn Sense of timeless Being(١٨).

وهي مؤهلة لا دراك ومعرفة وجوه الاشياء جميعا في حين أن العقل المادي قد لا يدرك الا وجها واحداً من وجوه الأشياء.

وتستخدم «إيفلين أندرهيل» مصطلح الروح الغامضة التي ترى النور الأزلي، كما أن القديس أوغسطينوس يصفها باعتبارها عين لها القدرة على أن ترى النور الأزلي الذي لا يتغير ولا يخبو، وهذه العين الباصرة هي التي وصفها وولتر هيلتونW.Hilton باعتبارها فكاك وانطلاق بعيدًا عن قيود الجسد المادي المكبل بالشهوات والغرائز.

وتلاحظ الباحثة أن الحالة التي يكون عليها القلب والتي يصطلح عليها نيكلسون «بأرض الروح» «The Ground of The soul» .

بأنها الحالة التي يكون فيها القلب مدبرًا للبدن كما يعتقد أبو حامد الغزالي، كما أنها الحالة التي يتحول فيها القلب إلى مرآة عاكسة تتلقى الأنوار الواصلة من السماء إلى الأرض حاملة معها علوم الوهب.

«فالعلم في نظر الغزالي عبارة عن القلب الذي يحل فيه مثال الحقائق والاشياء، والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآه والنار، والشعاع عبار عن الملك الموكل بإفاضة العلوم على القلوب البشرية» . (١٩)

ويقول ابن عربي «عين قلبك كعين وجهك فلا يرى القلب إلا بعد نفوذة السبع طباق، فاذا نفذت هذه الطباق وتصفح الأوراق حينئذ ينفذ إلى أول منزل من منازل الغيب» . (٢٠)

وهكذا يكشف القلب المحب حجب الأكوان وينفذ عبرها ويتلقى المشاهد ويعكس الأنوار ويفض الاسرار وكلما ارتقى صعودًا وتروحن صفاتًا وخلص من رق المادة كلما كان عينا باصرة تحظى برؤية ضاربة في أعماق الكون، نافذة إلى علوم الغيب يطلق عليها نيكلسون

(١٦) راجع ابن عربي، تحفة السفرة، ص ١٣.

(17) R. A. Nicholson The Mystics Of Islam; London ، 1914; p. 68

(18) Evelyn Underhill; A study in the nature and the Development of Man's Spiritual Consciousness London; 1949. P. 150.

(١٩) أبو حامد الغزالي، معارج القدس، مكتبة الجندي، بدون تاريخ، بالقاهرة، ص١٠٢.

(٢٠) ابن عربي، كتاب المشاهدة، طبعة حيدر آباد الدكن، ١٩٥٠ م، ص ١٥، ١٦.

اصطلاحا «Apocalyptic Vision» (٢١) أو الرؤية المباشرة للغيب.

الاستنارة What is Enlightenment?

جون وايت، وإيفلين أندرهيل

ترجمة ودراسة

مقدمة:

ما المقصود بالاستنارة؟ هذا السؤال طرحه عبر العصور أناس يبحثون عن معنى الوجود. فقد بلغ التعمق في فهم المعنى وأهميته في إسعاد الناس حدًا جعل رجالًا ونساءً في مختلف الأعمار يكرسون أنفسهم لإيجاد جواب لهذا السؤال متحدين الصعاب والحرمان وحتى النبذ من المجتمع أحيانًا. لكن سعيهم كان يحفزه تعطشهم لمعرفة الذات ولإيجاد أجوبة للأسئلة الآتية:

«من أنا؟» و «لماذا أنا هنا؟» و «أين أنا ذاهب؟» و «عن أي شيء تكون هذه الحياة بأسرها؟» تلك جميعًا أوجه للسؤال الرئيسي: «ما المقصود بالاستنارة؟» .

وفي يومنا هذا يتزايد عدد الباحثين الذين يقفون أثر أسلافهم. فهم ضجرون غير قانعين بما هم عليه من عدم إيجاد أجوبة لأسئلتهم أو إنهاء لأحزانهم. كما أن نفس السؤال الذي بلغ عمره الدهر طرحه باحثوا الوعي والباحثون في العلوم، كما طرحه الفضوليون الذين يسمعون للقصص الغامضة المغرية عن شيء اسمه «الاستنارة» بوسعه أن يجعل الحياة هانئة تستحق العيش. إن الحاجة الملحة للتعرف على الاستنارة تم تطويره وتحويله إلى حقل مزدهر من التجارة من قبل الناس والمنظمات الذين ادعوا فهمه. إن صناعة الاستنارة عمل ضخم، حيث تنتشر الإعلانات في كل مكان، ويبدو أنه لم يعد هناك بحث يتقصى سنين من النظام الشاق في الأماكن المقدسة القاصية.

الأنا (الذات) وصناعة الاستنارة

Ego and The Enlightenment Industry

الآن أصبح الاستنارة حقًا لكل الناس إلى أقصى حد. وذلك والحمد لله هو ما ترمي إليه كل الخليقة. ولكن واحدًا من الأوجه المشؤومة للروح التجارية هو الحط من مصطلح «التنوير» . حيث ظهرت هناك موجة من الكتب والمقالات والشرائط والمحاضرات والحلقات الدراسية عن الاستنارة عرضت آراء متعارضة ودعاوى مضادة عنه. وكان هناك أيضًا انفجار في تكنولوجيا التحليل النفسي ووسائل تغيير الوعي الذي تدعي بأنها قادرة على إحداث حالات صوفية تحولية مستنيرة. بمعنى أن حالة الوعي الديني والادراك الفائق الناتجة عن عمق الايمان تحولت إلى عمل تجاري ذلك أن أشرطة التنويم المغناطيسي Hypnosis جلسات تذكر الماضي والموجات الدماغية الوهمية Alpha and theta Brainwaves(٢٢) الصادرة من الجسم وأنظمة

(21) R. A. Nicholson The Mystics Of Islam; London ، 1914; p. 71.

(22) See Richard M. buck; Aldous Huxley & others. What is Enlightenment; Edited by John White; First U. K. Edition ،1988. P. Xii.
See Hilary Evansi; Alternate States of Consciousness Unself; Other self; Greet Brilain By Biddles Limited; 1889. P. 9.

التأمل المتنوعة والوعي الناتج عن العزلة الشعورية، تلك جميعًا تنطبق على السلعة المعروضة في السوق الروحانية. مع ذلك فإن المستهلك الروحاني ينبغي أن يتساءل: هل لكل تلك الأشياء أي قيمة؟ ولو كان فما حجم هذه القيمة؟ وما أهمية تلك الأشياء؟

كل هذه المنتجات والخدمات والانظمة المذكورة آنفًا هي ذات قيمة محدودة النوع – قيمة للمبتدئ، وقيمة للشخص الذي بدأ توًا في إدراك نطاقات أعلى للكينونة والتي يتم إنكارها ثقافيًا واستبعادها تعليميًا في المجتمع الغربي. وهذه النطاقات لها القدرة على تقديم التجارب التي تفتح لنا نافذة على الواقع أكثر اتساعًا قليلًا عما هو عند الإنسان الطبيعي. كما أن لها القدرة على عرض قيود الإدراك اليومي وإمكانية حدوث شيء ما أبعد منه ولكن النقطة الحرجة التي يجب فهمها هي: إن قيمة الحالات الصوفية والتحولية ليس في إنتاج تجربة ما جديدة ولكن في التخلص من «الشيء الذي يعوق التجربة» . التخلص يعني التخلص من الوعي الأنوي الذي يعيش الحياة من منظور ضيق منطوي نوعًا عن المنظور الحر الغير مقيد للحكيم الذي يعرف أنه يؤثر في اللانهائية خلال شكل نهائي. بمعنى أن المقيد يتجاوز قيوده ليصل إلى الاطلاق واللانهائية من خلال عملية تطهير ومجاهدة للنفس واكتساب الصفات التي تحوله من حالة النقص إلى حالة الكمال والاكتمال.

ما لا تعنيه الاستنارة

الآن لو أن العبارة الأخيرة تبدو غامضة للغاية «كما هو حال معظم عبارات الاستنارة» ربما سيكون ذا فائدة أن يكون الأمر دقيقًا فيما يتعلق بما لا يعنيه التنوير. إنها ليست حالة متغيرة من الوعي لو أنها يتم إحداثها من خلال التأمل أو تعاطي المخدرات أو الجنس أو أي نوع آخر من تكنولوجيا التحليل النفسي المغيرة للعقل. كواحد من المساهمين في هذه المقتطفات فإن العالم النفسي الباحث فيما وراء الشخصية «كين ولبر Ken Wilber» قال في خلاصة المقالة (التي حذفها الآن) : «إن أقصى حالات الوعي. . لا تعرف بأنها واحدة ضمن آخرين كثيرين ولكنها واحدة ليس لها ثاني. . إنها ليست حالة متغيرة من الوعي لأنها ليس لها بديل.

إن الاستنارة ليست عرضًا باهرًا للظواهر النفسية ولا القوى الخارقة. كما أنها ليست رؤية تنقلك إلى مملكة سماوية ما. إنه ليس الجلوس بلا حركة في نشوة بينما تكتشف عالمًا داخليًا من الألوان والأصوات الفائتة أو بدلًا من هذا خلو ذهني تام.

بوسع الاستنارة أن تتضمن كل ذلك ولكنها تتجاوز كل هذا على نحو مطلق. أي شيء أقل من «مطلق» لا يقدم إجابة، وكل الظواهر التي تمر غير مطلقة، هي بالمثل لا تقدم إجابة شافية لأنها ليست نوعًا من الاستنارة، فليحذر السالك ما ينطبق على كل شيء (٢٣) Caveat Emptor قدمته صناعة الاستنارة تقريباً.

(23) Ibid ،p. Xii.

لـذلك، لأن كـل الإثـارة المتعلقـة باختراعـات الرفاهيــة والأنظمــة المريحــة وعلاجــات الــذات الفوريـة لا تثمـر عـن نتـائج ملحوظـة، لأن قشـور الـروح التجاريـة تترسـب وبـدأ النـاس يتعمقـون فـي طبيعــة التحــول النفســي والبحــث الروحــي وهــم متحيرون وغير قانعين. ومرة أخرى يطرح السؤال نفسه: «ما هي الاستنارة؟» .

لـو أن ذلـك كـان هـو السـؤال الخالـد فـإن الإجابـة تسـمى الحكمـة الخالـدة « Perennial wisdom(٢٤)» . وهــذا هــو هــدف الرحلــة الروحانيـة: الفهـم الجـذري الـذي يصـل إلـى لـب التجربـة الإنسـانية منيـرًا كـل وجـه مزيـلًا كـل شـك حول معنى الوجود وطبيعة الواقع. إنها ليست إلى حد كبير معرفة حقيقية كالحكمة الشعورية، وليس المعرفة المطلقة بل اليقين «Certitude».

هـذا مـا يـدور حولـه هـذا الكتـاب كلـه. إنـه يضم جزءً من أفضل المواد العلمية المأخوذة من كـم هائـل مـن الأدب الـذي تنـاول الاسـتنارة حتـى تستطيع الحصول على صورة واضحة من حكمة العصـور. فـي مقتطفـاتي المتنوعـة التـي تتنـاول التطـور الإنسـاني الأسـمى عبـر السـنين، سـعيت لأن أقـدم فـي مجلـد واحـد مجموعـة شـاملة حتـى يتمكن القارئ من الحصول على مقدمة مجسمة لموضوع هام دون الحاجة إلى الخوض في المزيد من المواد العلمية أو الحاجة إلى مزيد من الوقت والجهد فـي البحـث فـي الأدب. وتلـك كانـت نيتـي هنا. وعند قراءة هذا الكتاب يمكنك الحصول على مفهوم دقيق للتنوير وفهم عقلانـي سليم الذي هو فـي الواقـع خريطـة للواقـع. هنـاك تحـذير مـع ذلـك وهو أن الخريطة ليست المنطقة الواقعية. وبشكل آخـر فـإن الفطـائر المحـلاة لا تسـد جوعًـا. إن اصطلاح «الاستنارة» مع كل هذا هو كلمة بعيدة كل البعد عما تشير إليه. لذلك فسوف أقول أكثر عن خرائط الواقع فيما بعد.

إن الحكمـة الخالـدة لا تتغير، والصـدق واحـد ضـمن هـذه الحكمـة، وهـذا اتفـق عليـه حكمـاء الأديان الرئيسية والتقاليد المقدسة، وكل الفلاسفة الزاهـدين والمـدارس السـرية الأصـيلة والطـرق السحرية العليا. إن الاستنارة هي لب حقيقة كل هؤلاء. وحتى على نطاق أكثر اتساعًا فإنه جوهر الحياة وهدف كل النماء والتطور والنشوء.

إنه اكتشاف كل ما هو كائن في النهاية، إنه إجابـة للأسـئلة: «مـن أنـا؟» «لمـاذا أنـا هنـا؟» «أيـن أنـا ذاهـب؟» «عـن أي شـيء تكـون هـذه الحياة؟» .

المفارقة بين ما هو كائن وما سوف يكون

The Paradox OF BEING AND BECOMING

علـى نحـو مثيـر للمفارقـة فـإن الإجابـة التـي نبحث عنها ليست سوى ما نحن بصدده بالفعل – وهي مصدر وأساس كل ما سيكون. إن الاستنارة هي إدراك حقيقة الكينونـة. حالنا فـي وطننا وذاتنا الحقيقية هي الكينونة. والشخص الأسمى الكوني يسـمى تقليـديًا «الـرب» وهـو الكـائن الأسـمى المتواجد فـي الجميـع. وبالصـدفة بعض المعلمين المتنورين – ومنهم «بوذا» – يفضلون أن يتجنبوا المصطلحات المؤمنة بوجود الله لكي يتعاملوا مع الآخـرين علـى نحـو أفضـل. ونيـتهم هـي تجنـب

(24) Ibid ،p. Xiii.

الإشراط الثقافي العميق الذي يحدث خلال مثل هذا الأسلوب والذي يعوق الفهم.

إنما نحن تجليات لكينونة ولكننا مثل الكون نفسه آخذون في الكينونة المستقبلية – فدائمًا نتغير ونتطور ونكبر ونتطور تدريجيًا إلى حالات أسمى وأسمى بوسعها التعبير عن مثالية أصل الوجود. وهكذا فإننا لسنا كائنات آدمية فقط ولكننا أيضًا كائنات آدمية متطورة. والتنوير هو فهم التوازن المثالي للكينونة في منتصف الكينونة المستقبلية.

إن حقيقة كل الوجود وكل التجربة هي ليست سوى الحاضر الفعلي الخالي من المعاناة وطبيعة الماضي للذي يسعى ويناضل ويتساءل عن الكينونة. إن الرحلة الروحانية هي عملية استكشاف وعيش تلك الحقيقة. إنها تبلغ العين التي ترى نفسها والذات التي ترى نفسها. وبمعنى فلسفي فإن التنوير هو فهم الازدواجيات والمركب المتجانس لكل المتناقضات وتوحيد التعددية والتنوع. وبمعنى نفساني فإنه تجاوز كل معنى للمحدودية والأَخَرِيَّة. وبمعنى إنساني فهو الفهم أن الرحلة هي التعليم بأن الطريق والمقصد (الوجهة) هما في النهاية نفس الشيء. وبمعنى لاهوتي هو وحدة الله والإنسانية. وبمعنى وجودي هو الحالة التي تجمع كل الحالات والتي تتجاوز الكون بأسره ومع ذلك فهو الحقيقة اليومية لأنه لا يوجد شيء منفصل عنه ولا يمكنه الانفصال عنه. عندما يتسنى لنا أخيرًا فهم السر العظيم يمكننا اكتشاف طبيعتنا الحقيقية والشخصية الأسمى وذات كل شيء. وهذا الوعي المباشر بتوحدنا مع اللانهاية – ذلك الوعي العرفاني الشعوري «Noetic» لتطابقنا مع ما هو إلهي هو مصدر كل السعادة وكل الخير وكل الجمال وكل الحقيقية. إن التجربة تتجاوز الزمان والمكان والسببية Beyond time and space and causality، إنها تتجاوز الذات وكل الإحساس الاجتماعي المشروط بالذات.

إن معرفتنا بأننا سرمديون لا نهائيون ولذلك أحرار كونيًا تنهي الوهم بالانفصال وكل الدفاعات المؤلمة الهدامة التي تقوم بها فرديًا ومجتمعيًا ونحافظ على الوهم الذاتي على حساب الآخرين. ترى «ماتريانا أبانيشاد» الأمر كتالي: «عندما يدرك الشخص ذاته بأنها الذات يصبح بلا ذات Selfless» . . . وهذا هو السر الأعظم.

التطور الطبيعي والعودة إلى الله

Evolution and turn to Godhead

رغم أن وجودنا جوهري فإننا غير ثابتي الحال. نحن أيضًا نشيطون آخذون في التغير الذي تحدثه النفس والذي يسمى تقليديًا الكينونة المستقبلية أو التطور الكوني Cosmic evolution(٢٥). مع ذلك فإن التطورما هو إلا أحد أوجه تلك العملية الغامضة التي هي أساس الخليقة. والوجه الآخر هو التغيرات الارتدادية– إن التنفس يتم بإذن الله وإن عملية التخليق والـ (Kenosis) التي بواسطتها يولد الكون ويتضمن

(٢٥) الادعاء بالتطور الخالق ما هو إلا عودة لنظرية داروين في تطور الأنواع وهو ما لا يستقيم والتصور الديني لعملية الخلق من عدم، فكل الأديان الكبرى اتفقت على أن الله جل شأنه خالق كل شيء من عدم.

«الألوهية» (٢٦) في المادة حتى تستطيع التطور خلال مراحل من النمو في الوعي، بدءً من الجهل ثم الوعي البسيط ثم الوعي الذاتي ثم الوعي الكوني إلى إحياء الذاكرة العظيمة التي ليست سوى الواحد في الكون. إننا متضمنون في المادة لنصبح متطورين كالروح. إننا نتطور فرديًا وأجناسًا خلال مستويات الوجود جسديًا وعقليًا وروحيًا – وهذه المستويات هي في طبيعتها المطلقة ببساطة مراحل من الله الذي هو السلسلة العظمى للكينونة. إن الخلق الأصلي للكون تجسيد الروح، وكل ما تبع ذلك هو ترويح الجسد «جعل الجسد روحانيًا» في كل العوالم السامية والمتدنية. هكذا فإننا في النهاية عبارة عن الله في مسرحية مفروضة علينا – مسرحية فيها دور إلهي يؤدي إلى نسيان الذات، ويؤمن بفقدان نفسه وهكذا يتحضر ليسعى إلى الاتحاد من جديد مع الواحد الذي ليس له ثاني. إن العملية التي فيها نتوه وننسى طبيعتنا الإلهية هي التغيرات الارتدادية وهي السقوط من النعمة والنعيم والعملية التي نجد فيها أنفسنا ونتذكر حالتنا الحقيقية هي التطور الذي هو العودة الواعية إلى الألوهية. وعندما تفهم ذلك فإنك تبدأ في أن تعيش ما يسميه أحد المساهمين في هذا الكتاب «الحياة الإلهية» (٢٧).

الوجود هو المسرحية التي ألفها الله

Existence is the play of God

من المنظور الكوني إن الموقف الذي نجد أنفسنا فيه هو مسرحية نحن فيها ممثلون نمشي ونحن نائمون. فنحن نواصل حياتنا على غير وعي بالحقيقة أن كل شيء هو مسرحية من تأليف الله. والاستنارة هي الاستيقاظ من تلك المسرحية. إنك تكتشف أن الله هو المؤلف والممثل وخشبة المسرح لمسرحية هازلة مبهجة. لكن ماذا تفعل عندما تستيقظ؟ لماذا تظل كما أنت كما في حياتك اليومية؟ إنك تبدأ عملك وتواصل ما ينبغي عمله في العالم – في كل العوالم. إنك تصبح إلى حد ما خالق شريك الله وذلك في حفظ الكون بفعل ما بوسعك لمساعدة الآخرين ورؤية النور والحب النابعين من الألوهية التي تسطع في كل شيء– حقًا ككل شيء.

---

(٢٦) هذه نظرية في تأليه المادة بحيث تتحول إلى مادة خالقة وهى عودة لنظرية التطور الخالق الإلحادية والتي لا تستقيم والدين الإسلامي كما لا تستقيم ونظرية الاستنارة الدينية. المترجم.

(٢٧) تبتعد هذه النظرية كثيرًا عن طبيعة عملية الخلق وارتكاب الإنسان للخطيئة الأولى وهبوطه إلى الأرض عقابًا له على عدم الطاعة للأمر الإلهي ثم محاولة الإنسان الدائبة والدائمة للعودة إلى الأصل الإلهي حيث يتخلص من خطاياه ويكتسب صفاتًا محمودة تمكنه من التطهروقهر الجسد الشهواني وإعلاء الروح والروحانية بحيث يصبح القلب شفافًا ويتحول إلى لطيفة ربانية لها بالله تعلق فيستنير بنور الله. وهذه هي الاستنارة.

راجع: إبراهيم ياسين الدكتور، المدخل إلى التصوف الفلسفي، الحاسة الكونية، دار بلال بالمنصورة، سنة ١٩٩٣م. صـ٨٥–٩٠ .

الاستنارة إذن هي عملية لا نهائية – ليست ببساطة حدث يقع مرة واحدة – فهناك حقًا مقدار من الوثبات في الوعي والتي تميز، مثل «خرائط الواقع» التي تم تطويرها عن طريق التقاليد المهيبة، ولكن تجربة نيرة واحدة لا تصنع صوفيًا أو قديسًا. وحتى الناس الأكثر سموًا روحيًا قد وجدوا أن هناك حالات من تجاوز مستوى تطورهم الحالي. إن هذا العمل كافي للوصول إلى الاستنارة ولكنه غير كافٍ لاستكماله. فإدراك الذات ليس هو نفسه التحول في الذات كما يرى «سري أوربيندو» : «إن الإدراك الإلهي هو مصطلح وسطي» في عملية التطور الإنساني إلى الأسمى» . وهكذا فإن إدراك الذات مع أنه جذري فهو ليس نهاية التجربة الإنسانية. إن هناك حالات أسمى من التطور تدعونا إلى تحول أكثر في مصيرنا التطوري. مع ذلك من المفهوم أن كل مثل هذه المرحلة المستقبلية للكينونة المستقبلية هي بالرغم من ذلك تعبيرات الكينونة الحالية اللانهائية والخالدة، وهويتنا المطلقة هي بتعبير «دالاف أناندا» (المعروف سابقًا بـ دافري جون Da free John) : «دائمًا بالفعل الله دائمًا هو الذي يكون مستنير» .

مصطلحات ورموز الاستنارة

The names and symbols for Enlightenment(٢٨)

تم اعطاء أسماء عديدة للاستنارة بوذا يعنى «الشخص المستنير» ويسوع والمسيح لهما نفس المعنى. القديس بولس أسماه «سلام الله الذى يتجاوز الفهم» و«ريتشارد موريس بك» أسماها «الوعى الكوني». في الزَنّيَة تسمى «ساتورى» في اليوجا تسمى «سامادي» أو «موكشا» وفي التصوف الاسلامي يسمى «الفناء» وفي الطَّاوية يسمى «وو Wu» أو «الطاو المطلق» . وأطلق عليه «جورد جيف» اسم «الوعي الموضوعي» . تحدث «سري أوروبيندو» عن العقل الخارق Super Mind والمدارس السرية والطرق السرية تتحدث عن «الاستنارة» و «التحرر» و «إدراك الذات» . وكأن الاستنارة أيضًا يرمز إليها بصور عديدة وهي: زهرة اللوتس الهندوكية ذات الألف بتلة، والكأس المقدسة في المسيحية، والمرآة الواضحة في البوذية، ونجمة داوود في اليهودية، ودائرة ين يانج في الطَّاوية، وقمة الجبل والإوزة العراقية، والبحيرة الساكنة، والزهرة الصوفية، واللهب الخالد. وتم وصف حالة الاستنارة من قبل الصديقين والحكماء والدارسين بطرق عديدة. فعلى سبيل المثال «كين وبلير» الذي اعتبره الكثير أعظم عالم نظري في علم النفس الفوق بشري والذي أعتبره أنا أينشتاين البحث الإدراكي يدم ملخصه للفصل الأخير من كتابه الشهير «العين كما تراها العين» : إن أقصى حالات الوعي توصف كلية في الأدب الصوفي بأنها الاتحاد مع المطلق حيث أن المطلق يعرف بأنه ليس واحدًا ضمن عدة ولكنه واحد ليس له ثاني، كما أنه من المعين علينا أن نعرف أن المطلق يجب أن يكون المطلق. ويتبع ذلك أن الحالة المطلقة ليست حالة من الوعي بمعزل عن الحالات الاخرى وليست واحدة ضمن عدة ولكنها

(28) What is Enlightenment; p. xvi.

إلـى حـد مـا واحـدة لـيس لهـا ثـاني. بمعنـى أنهـا منفردة تمامًا عن الآخرين. ومن ثم فإن أقصى حالات الوعي ليست حالة متغيرة من الوعي لأنها ليس لها بديل.

وبطريقـة مماثلـة علـق «دالاف أنانـدا» بإسهاب شديد على هذا الموضوع وكانت وجهة نظره المسهبة في أحاديثه وكتابته يتم عرضها ببلاغة في هذا المقتبس من كتابه «القربان الجسدي للاهتمام» أو التضحية الجسدية في عملية التركيز Bodly Sacrifice of Attention(٢٩).

إن الرجل أو المرأة العاديان يعتقدون بأن الاستنارة هي اعتناق رؤية معينة. إن الاستنارة هي الفهم الأدق أو الضمني الذي لا يوصف. إنه الإدراك المطلق للكينونة أي الحكمة المطلقة.

وعلى أساسه تتطور كل التحولات المتعددة، ولكن الإدراك نفسه جوهري جدًا، ضمني جدًا، بسيط جدًا، مباشر جدًا، واضح جدًا، مبهم جدًا لدرجة أنه لا يمكن تعريفه بأنه ظاهرة من التجربة أو المعرفة. ووسيلة نقل هذا الإدراك هو الغرر المتيقظ، المعلم الروحي، ولكن الإدراك ضمني جدًا ومثالي وبسيط ومباشر وواضح. عندما تصل إلى نقطة الاعتراف بالهوية الإلهية وحالة من تجليات الوجود هنالك يتم تنويرك.

وعند «ثاديا جولاس Thaddeus Gulas» مؤلف الكتاب المختصر والحكيم «دليل الكسول إلى الاستنارة» (٣٠) يصف التنوير بأنه: «هو أي تجربة ينبسط فيها الوعي إلى ما وراء الحدود الحالية. ويمكننا كذلك القول بأن التنوير الأمثل هو إدراك أننا ليس لنا حدود مطلقًا. وما زال هناك صياغة جديدة لمصدر معاصر وهو «ماهاراج جي» المرشد الروحي لـ «رام راس» أستاذ علم النفس في «هارفارد» في الماضي، وهي: «إن الاستنارة لا تطرد أحدًا من قلبك – بمعنى أنها الحياة اللانهائية والحب المطلق والطريق الذي يحبه الله» .

الاستنارة لا تصفها الكلمات والرموز

Enlightment is beyond words and Symbols

بغض النظر عن الاسم أو الرمز، ومهما يكن الوصف اللفظي شعريًا أو ملهمًا، فإنه ليس هناك بديل للتجربة المباشرة. إن التنوير يفوق الوصف – لا تصفه الكلمات أو الصور أو المفاهيم – ولا يحتويه العقل أو المنطق أو التحليل أو أي وجه من أوجه الكينونة الذاتية العقلية مهما يكن العقل متوقدًا وثاقبًا ومهما يكن الذكاء خارقًا. فالرمز يُخفي بقدر ما يُظهر والكلمات تدور حول الحقيقة، ولكنها ليست الحقيقة نفسها. فالكلمات مجرد مرشد وليست ضامنًا للفهم. إن القراءة عن الاستنارة ليست بديلًا عن ممارسة الانضباط الروحي كما أنها ليست تقليدًا هامًا. لا بد أن يكون هناك تجربة فعلية، فصور الطعام لا تسد جوعًا. (٣١)

(29) Ibid; Xvi.

(30) Thaddeus Gulas The Lazy Man's guide; Enlightenment.

(31) W.James;The Varieties Of Religious Experience ، Mysticism; p.

يستخدم وليم جيمس تعبير عدم قابلية الخبرة الصوفية للوصف ويعبر عن ذلك بمصطلح Ineffability وهو

لكي تمر بتجربة الاستنارة بنفسك فإن الشيء الوحيد الذي عليك فعله هو قراءة «السر العظيم» كاملًا بعين التأمل وليس بعين العقل، وبالتأكيد ليس بسلع صناعة الاستنارة البراقة. ولكن، مهما تكن جديتك في البحث، ومهما يكن جهدك عظيمًا، فإن الاستنارة لا يمكن تحقيقها – فقط يمكن اكتشافه. ولذا فإننا جميعًا نعتمد على تسمية الاستنارة الروحية «النعمة الإلهية» .

ولكن النعمة الإلهية تتزايد. كما قال المسيح: «لو طلبت خبزًا فإنك لن تعطَى حجارة. اسع وستنال مرادك. اطرق الباب وسوف يُفتح لك» . إن الذكاء الكوني يمدك بكل ما تحتاج إليه في كل خطوة من طريقك. فكل ما يهدف إليه هو ببساطة أن يفتح عينيك على طبيعتك الحقيقية. إن الاستنارة أو «مملكة السماء» هو حق لكل متطهر.

اجتياز الطريق إلى الاستنارة

Walking the path to Enlightenment

إن ادعاءنا حق الاستنارة ملازم للتطهر مع ذلك ليس أمرًا هينًا. فالنعمة تسقط على الجميع كالمطر ولكنها أيضًا كالمطر يمكن تلقيها في وعاء مناسب مجهز لها للحصول عليها. التجهيز يتضمن تغيير في الوعي. دون ذلك فإننا مجرد صخور جوفاء تتحول إلى قوارير أو كاسات يمكنها استعادة ما يسقط من السماء. وليس ادعاءنا حق البكورية أمرًا صريحًا. في الطريق الروحي توجد ممرات جانبية عدة ما هي إلا طرق مسدودة لو لم تكن مصائد. كما أن هناك فترات من الثوران الفوضوي في العقل، ولحظات من التبصر والاختراق الجزئي، وفترات فاصلة من الإنهاك واللامبالاة المطلقة، وأوقات من النضال الشديد والشك عندما يحملك الإيمان منفردًا في أقصى أهمية للرحلة الروحية للأمام وهو متعثر القدم. ماذا بوسعنا أن نقول عن هذه العملية التي هي إيجاد ذاتنا الحقيقية؟

إن التقاليد المهيبة تؤكد على الحياة الصحيحة والوعي باللحظة الحالية أكثر من تقديم وصف دقيق للعوالم الأسمى المعنية للدراسة العقلية. وهذا لا يعني أن هذه العوالم ليس لها مثل في هذا الوصف – ولكنها لها، كما أوضح في الملحق«١» الذي يُعنى بـ «خرائط الحقيقة» .

ولكن إذا ما سألنا مدرس في البوذية الزينية «زَنّي Zen» (٣٢)، على سبيل المثال، ليوضح ما المقصود بـ «ساتوري Satori» فإنه ربما ينحني ويلتقط حجرًا ويقدمه لك، أو ربما ينبح كالكلب أو يفعل شيئًا آخر مروعًا. إن مثل هذا السلوك مساعدتك على الانفجار خلال حالتك المعتادة من الوعي التي توجهها الأشياء وتحد منها اللغة وتكيفها الثقافة. وربما يحيرك بلغز يبدو مستحيل الحل– هكذا: «قبل الاستنارة كنت أقطع

يرى ضرورة أن يتذوق الصوفي خبرة الاستنارة بنفسه حتى يعلم محتواها ويحسه. المترجم.

(٣٢) هذا اللفظ نسبة إلى البوذية الزينية المنسوبة إلى " زن " Zen والساتوري Satori كلمة معناها الخروج عن النفس أو مفارقة النفس في الفكر البوذي راجع إمام عبد الفتاح إمام " الدكتور "، الفكر الشرقي القديم، لما لم المعرفة، العدد ١٩٩، ص ١٥، ١٦٧.

الخشب وأحمل الماء. بعد التنوير كنت أقطع الخشب وأحمل الماء» .

ماذا يستطيع فهمه الباحث الروحي من مثل هذه «الحكمة المجنونة» ؟ الإجابة هي: إن الحقيقة متغيرة، ولكن إدراكك للحقيقة يتغير بينما يتغير وعيك. كما يقول «ريشيس» الهند القديمة: «إن المعرفة يتم تركيبها في الوعي» . فالفرق قبل وبعد الوعي، هكذا، هو فيك وليس في الحقيقة. إن القصور فيك انت وفي وعيك – وعندما يتم تجاوز هذا القصور فإنك تشعر بالوجود بشكل مختلف، لذلك فإنك ترتبط به بطريقة جديدة. إحساسك بهويتك يتغير. إنك تمر بتجربة ترى فيها الكون متوحدًا مع كينونتك الذاتية الجوهرية أكثر من تجربة ترى فيها كجسد منفصل منعزل بمنأى عن باقي الوجود.

الخرائط التي ترشدك في طريقك

Maps that guide you Along the path

ولكن هل الأمر بهذه البساطة؟ – لا، فبالرغم أن «بريها دارانياكا أبانيشيد» صرح بأنه: «يتم معرفة كل هذه الكون عن طريق فهم النفس» ، إن اكتشاف الذات ككل شيء ليس هينًا على الإطلاق. ماذا يمكن قوله أيضًا عن هذه العملية التي هي الوصول إلى رؤية الأشياء كما هي – أهي اللانهائية؟

هناك لغز في البوذية الزينية ينطبق على هذا الوضع هنا. «قبل أن وصلت إلى الزَّنّية، كانت الجبال مجرد جبال، والأنهار مجرد أنهار، والأشجار مجرد أشجار، وبعدما دخلت في الزَّنّية لم تعد الجبال جبالًا، ولا الأنهار أنهارًا ولا الأشجار أشجارًا» .

هنا يمكنك رؤية نفس المشهد كما في اللغز الآخر، ولكن هناك عنصر إضافي – وهو أن هناك افتراض أن هناك مرحلة متوسطة من النمو في عملية الاستنارة ولو تتتبع مفهوم مراحل النمو هذه فإنك تجد أن التقاليد المهيبة قد رسمت خريطة بطريقة سليمة جدًا للمعالم الأساسية في الرحلة الروحية. وهذه الخرائط تسمى باللغة المعاصرة علم النفس الفوق إنساني المقصور على فئة قليلة من الناس (الذي يستطيع فهمه القليل) فقط.

وبالارتقاء عبر ممالك أسمى من العقل، بينما نتطور في الوعي، فإن الحصول على كتاب مرشد من الممكن أن يكون مفيدًا جدًا – وهذا الكتاب المرشد يقدم نصيحة سليمة وتوجيهات جديرة بالثقة. وبالطبع كمساهم آخر في هذا الكتاب فإن «كريشنا مورتي» قال: «إن الحقيقة أرض ليس بها طريق» . كما يرى «ثادياس جولاس» مؤلف الكتاب المختصر الحكيم «دليل الكسول إلى الاستنارة» : «إن الاستنارة لا يعنيها كيفية وصولك إليها» . كل هذا صحيح تمامًا. هناك فعلًا خرائط للواقع مجرَّبة وحسنة السمعة عالميًا وهي من أجل إدخال المسافر في متاهات من العقل ومتاهات من الفضاء الداخلي بسهولة إلى حد ما وبأمان. وعلى المسافر الروحي أن يستيقظ من الإرشاد الأمثل المتاح عندما تبدأ رحلة الإدراك النفسي.

التواضع ومساعدة الغير والحب المطلق

Humility Selfless Service and Unconditional love(٣٣)

كما قلت، من المنظور الكوني، إن الموقف الإنساني نوع من المشي أثناء النوم تستيقظ منه بواسطة النعمة الإلهية دون أدنى جهد منك. ولكنه شيء لا يُفتخر به. لأنك وكل الأشياء في النهاية واحد، والإدراك الصادق لله كنفسك لا يعطيك وصفًا استثنائيًا مهما كنت ذكيًا أو موهوبًا أو فاتنًا أو مميزًا. إنك تدرك أنك لست شخصًا خاصًا، لأنه تحت الشكل الخارجي والاسم، كل واحد آخر هو أنت أيضًا كتعبيرات الكينونة العظيمة الواحدة. وهكذا فإن الاستجابة الصادقة لإدراك الذات هي التواضع.

إن الاستجابة الصادقة هي أيضًا خدمة الغير. التي هي الانعكاس السلوكي للحب المطلق. فعندما تدرك ذاتك الحقيقية فإنك تلقائيًا تستجيب لنداء التواضع. وذلك النداء رغم أنه يطلق دون وعي هو: «أرني الطريق إلى الله» . وهكذا فإن الاستنارة متضمَّنة في المجتمع الإنساني أكثر من أي مجتمع آخر حتى ولو أنهم يعيشون منكمشين على أنفسهم أو منعزلين عن العالم لأنهم يرون الحقيقة بمفردهم، والجمال والحب في قلب الوجود. هم بمفردهم يعيشون في انسجام مع ذلك الإدراك ليساعدوا الآخرين على تغيير الوعي، وبناءً عليه يكتشفون الكمال الجوهري لكل الأشياء.

إن الغاية والمعنى والاتجاه في الحياة والفهم والسعادة – أي ما يبحث عنه الجميع، ولو كان بجهل، وذلك كل ما يساعد المستنيرون الآخرون أن يجدوه باصطبار وتواضع وحب دون الاهتمام بمقابل أو عرفان أو مكانة أو سلطان، لأن كل شيء في النهاية يتم عمله من أجل الشخص نفسه «من ثمارهم سوف تعرفونهم By their fruits you shall know them(٣٤)»

إنقاذ العالم

Saving the world

إن كوكب الأرض يواجه اليوم تهديدات غير مسبوقة على الحياة. ولكن تلك الأخطار التي تلوح فوقنا– الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والنووية والعسكرية– هي على نحو مثير للسخرية نتاج عقولنا وجهلنا وانعزالنا على أنفسنا. الآن لا يمكن حل مشكلة على نفس المستوى الذي سببها. ولذلك فإن حل الاخطار التي تواجه الإنسانية يتطلب تجاوز العقل المعتاد أو الإحساس الذاتي. كما أن الإجراءات السياسية، والبرامج الاجتماعية والعمل الإنساني، وغيرها لا بأس بها ولكنها غير كافية. فقط الوعي المتغير هو الذي يستطيع تغيير العالم. وهذا كل ما يدور حوله هذا الكتاب.

إن الاستنارة هي التحرر والحرية. ولكن طالما أن هناك شخصًا واحدًا غير حر فإنه لا أحد حر. ولذلك السبب، عبر التاريخ ن فإن

(33) What is Enlightenment; P. XIX.

(34) Ibis; XX.
Anne Fremantle; Women's way to Good; set Martin's press،New york ; Ny،1977 An Examination of intense Religious Experience.

المستنيرين حقًا قد أخذوا على عاتقهم دائمًا عبء الخدمة المخلصة للعالم، إن إدراك الذات يؤدي إلى تحول كينونة الفرد كلية – كلًا من الوعي الداخلي والسلوك الخارجي. إن وهم الذات المنفصلة يتلاشى. هناك مخرج رائع من التدبير المزعج والتلاعب والدفاعية التي يمر بها الناس – لكي يحموا صورتهم الذاتية الخادعة من حقيقة الوجود. إن الإشفاق على الذات والاستقامة الذاتية والغضب والشهوة والحسد والكسل وغيرهم يتلاشون جميعًا. وما يبقى له صورة إنسانية للإدراك الحسي المعتاد. إنه يأكل وينام ويمشي ويعمل مثل كل الآدميين الآخرين. كما تقول المفارقة الزَّنّية: «إنه يستمر في قطع الخشب وحمل الماء» . ولكن ما هو شخصي تحول إلى ما هو كوني خلال التعرف على التوحد الذاتي الكامل مع اللانهائية. إن الطاقة والذكاء يتم تحريرهما لجعل العمل الثقيل خفيفًا وخلق الإبداع في المهام والعلاقات.

حينئذ تنبثق الطهارة والحكمة وتصبح الحياة بسيطة وموحدة ويصبح العالم رائعًا، ويصبح المعتاد فوق العادة، وتصبح الظروف التي كانت تعد مشكلة من قبل تحديًا، بل تصبح فرصة مثيرة للتعلم والنمو والتحرر قليلًا من عبء العالم. ربما يكون هناك ظروف غير سارة، ربما يكون هناك ظروف صعبة، ولكن ليس هناك كره لهذه الظروف أو معاناة فيها.

مفتاح الفهم والسعادة

The key to Understanding and happiness(35)

إن الفهم هو أحد وظائف حالة الوعي. وكذلك السعادة. فطالما أن هناك «آخر» في إدراكك فسوف يكون هناك حد لفهمك وسعادتك. حينئذٍ مهما يحدث في حياتك ومهما يكن المطلوب فهو مقبول تمامًا. فكينونتك المجردة تساهم في تحرير الجميع وخلاص العالم.

إن هناك عدة طرق تؤدي إلى أعلى الجبل للوصول إلى الاستنارة، كما يبين هذا الكتاب. ولكن عندما تصل الطرق إلى القمة فإنها تتحد جميعًا في إدراك أن الحقيقة واحدة. وذلك عندما تتلاشى النفس وتتم ولادتك من جديد إلى الحياة وإلى الواقع كما يبين أيضًا هذا الكتاب. إنك في حالة الاستنارة تكتشف أنك لست المسافر فحسب ولكنك أيضًا الطريق والجبل. ولذلك السبب مات المسيح على الصليب وفي قلبه الغفران. ولذلك السبب يتعهد القديسون البوذيون ألا يقبلوا التنوير النهائي حتى تكون كل الكائنات التي لها القدرة على الإحساس مستعدة له في البداية. وبوسعك ان تدرك ذاتك الآن لأنه هو حالتك في كل لحظة.

ما المقصود بالاستنارة؟ انظر حولك. كل شيء هو ذاتك. وليس الأمر إلا كذلك. لذا افتح ذاتك وشاهد العجب الذي هو قطع الخشب وحمل الماء، ثم شارك الأمر مع الآخرين بحب. الآن أيها المسافر الروحي استمر في القراءة

(35) Mother Teresa; A gift for God ،Prayers and Mediation; Happork Row New york. 1980.

حياة الاتحاد The Unitive life

«إيفلن أندرهيل»

«الجهل بقوانين الروحانيات عبودية، والعلم بها حرية، أما تطبيقها فهو حكمة» .

[الاستمتاع الكامل بالحرية وحب وتكريس الذات للعمل من أجل السمو بالشعور الإنساني]

وُصفت هذه الحالة في كتاب «إيفلن أندرهيل» عام ١٩١١ م «التصوف- المذهب الباطني» على أنها حالة تدعى «حياة الاتحاد» . ويتسم الارتقاء أو التسامي الروحي إلى الله بأنه يترجم كل ما يدور بباطن الإنسان إلى تصرفات محسوسة، فالمذهب الباطني لا يقر بذلك التقسيم بين الظاهر والباطن فهما وجهان لحقيقة الحياة. ورؤية الإنسان المؤمن بالله لذلك الكساء الغير مخاط للجسد تجعل سلوكه يسير تلقائيًا بشكل متوازٍ مع ذلك الإيمان. وفيما بين هذا النوع من نشاطات الإنسان هناك وحدة لأن الاتحاديين يرون الله كل شيء ولا شيء غير الله.

وقد قسمت «أندرهيل(٣٦)» في دراستها «للروحية» عملية ارتقاء النفس إلى خمس خطوات: الصحوة والاعتناق، معرفة الذات والتطهر، الاستنارة الروحية، الروح في ظلامها الدامس، ثم حياة الاتحاد. وعن هذه الحالة الأخيرة والتي هي الهدف الأسمى للتصوف تقول «أندرهيل» : «هذه المرحلة لا تدركها وتستمتع بها النفس كما هو الحال في الاستنارة الروحية ولكنها تتحد معها أو تكون جزءً منها. وذلك حتمًا يدفع الاتحاديين إلى نشاطات تكون من أجل العالم وليس من قبل العالم. وعندما يؤدونها تكون من باب التطهر وبنية خالصة لله ومن أجل التسامي عن البشرية، فحياتنا تبارك بذلك.

وفي هذا الاختيار تصف «أندرهيل» كيف يعمل الظاهر والباطن معًا في حياة الاتحاد؟ وما هي مكافأ ذلك التنقيب الروحي لهؤلاء الاتحاديون.

ما هي حياة الاتحاد؟. . . الإنسان العادي يعرف القليل عن شخصيته الحقيقية ولا يعرف شيئًا عن حقيقة الألوهية. إلا أن هناك وصفًا أرثوذكسيًا لحياة الاتحاد بـ «أنها الحياة التي تتحد فيها رغبات الإنسان مع الله» ولكن هذا الوصف لا ينقل أي معنى حقيقي لعقل الطالب.

فلا بد لنا أن نعرف بالفطرة الطبيعة الداخلية للنفس البشرية، فكما نعلم – إذا لم يخوننا التعبير – أن النفس البشرية ذات طبيعة معقدة. لذلك لا بد من السعي نحو الانتصار الروحي، وإزهار الروحانية و «أكثر ما يميز الجنس البشري: الكمال الذي تسعى نحوه حياة التأمل مع الهدف النهائي على المدى الطويل» .

هناك مجموعة قليلة ولكنها عظيمة القدر من الأبطال الذين عاشوا تلك المراحل السامية من الحياة، في حين انغمسنا نحن في حياة الوهم الفقيرة ولم ندرك تنفس نوع آخر من الهواء لم نكن لنتخيل مدى نقائه وصحته. وهنا ومثل الكثير من النقاط التي تندرج تحت دراستنا للوعي الروحي لا بد من الاعتماد على الشواهد الواضحة على

(36) Evelyn Underhill; A study in the nature and the Development of Man's Spiritual Consciousness London; 1949 ،p. p 352 - 357.

«الروحانيـة» وهـذه الشـواهد هـي الوحيـدة القـادرة علـى وصـف هذه الحياة الغنية الوافرة التـي تمتـع بها هؤلاء الأبطال.

ولكن الاعتماد ليس كليًا على تلك الشواهد كمصدر معلوماتي، فخصوصية «حياة الاتحاد» تكمـن فـي أنهـا دائمًـا مـا كانـت أرقـى وأسـمى الأحوال وهو ما يساهم في حجب طقوسها عن حياة البشر. ومن الغريب جدًا أن يكون قانون الأرواح مثـل قـانون الأجسـاد [مـن الأرض إلـى الأرض] .

روح الإنسـان تصـل أخيـرًا للشـعور الكامـل بـالواقع فتكتمـل دائـرة الحيـاة وتعـود لتحيـا خـلال مستويات أخرى في الحياة قد انبثقت منها. ومن هنـا قـد وُوجـه «أعـداء الروحانيـة» الـذين مثلـوا بسـهولة سلوكًا متجانس روحًـا وطبعًـا مـن «حيـاة الروحـانيين ذات النسـك المَرَضـي» فـي بدايـة الخطـوات التعليميـة «للروحانيـة» بمـا كرهـوه مـن رؤية «الروحاني» كقائد للبشرية، شخص جاد ذو حدس، مكتشف، مصلح ديني واجتماعي، بطل قـومي، عظـيم النشـاط بـين القديسـين. ونسـتطيع قيـاس فوسـوية إنجـازات هـؤلاء الأشـخاص عـن طريـق تلـك الطبيعـة الفـوق بشـرية التـي اتبعوهـا. فالأعمـال التـي أنجزت والانتصارات التـي تحققت على يد القديسين «برنارد» و «جون» من «آرك» والقـديس «كـاترين» مـن «سـينا» والقديسـين «إيجانتيوس لُيولا» و «ترسا» و «جورج فوكس» لا يمكـن تفسـيرها إلا بـأن هـذه الأرواح العظيمـة كثيـرة القرب والتعلـق بـ الله «تحيـا حيـاة اتحاديـة» التي هي نور للبشر.

وهنـا لـدينا طـريقين للبحـث والاستقصـاء: أولهمـا المقارنة والتفسير والثاني هو الشواهد التي ولدتها حياتهم ونشاطاتهم الخارقة للطبيعة. كما أن هناك طريق ثالث هو ما وُجِّـه إليهم، نقد الذي يفيد فـي مثـل هـذه الحـالات مـن «العمالقـة الاتحـاديين» ولكن لا بد من استخدامه بحرص وبنوع من عدم الثقة.

فحيـاة الاتحـاد وبـالرغم مـن تواجـدها بهـذا العالم إلا أنه لم تكن أبدًا من قِبل هذا العالم فهي تخص نوعًا آخر من الوجود وتتحرك بين طبقات أخرى بأمان وبالتالي تفلت من المقاييس البشرية. هنا من الوادي نستطيع أن ندرك لمحة عن الحياة الحقيقية لهذه الأرواح المصطفاة التي تجلت على الجبل. فهم بعيدًا يتنفسون هواءً آخر، لا نستطيع الوصـول إلـيهم. لـذا مـن المسـتحيل المغـالاة فـي تقـدير أهميـتهم للجـنس البشـري. فهـم سـفراؤنا «للكمـال» . فيـدافعون مطلـب البشـرية لـلإدراك الـدائم للواقـع قـدر المسـتطاع، ويحملـون الشـواهد علـى الخصـائص لعمليـة لحيـاة الارتقـاء وفـي كلمات «يوكن» فإنهم يقرون بـ «أن حلول الروح المنتصـرة كقـوة بشـكل مختلـف عـن «الروحيـة» والتـي توجِـد أسـس الحيـاة أو الصـراع مـن أجـل الحصـول عليهـا» لقـوة تحسـين الحيـاة الحقيقيـة والتـي تـأتي مـن حـب الله وحـين تكـون الـروح الإنسانية مستعدة لاستقبالها.

أمـا عـن الروحـانيين أنفسـهم كـدليل فنجـد أن محـاولاتهم فـي وصـف حيـاة الاتحـاد تعـود إلـى شكلين أساسيين للتعبير الرمزي:

الاثنين شديدي الخطورة والأهمية وعرضة للغموض وعدم الفهم وقد أتاحا فرصة ذهبية للنقد اللاذع. . . لمهاجمة باحثي الأسلوب الروحاني. ونجد أيضًا أنه من خلال لقاءاتنا السابقة بالرموز التي استخدمه المتأملون والصوفيون أن شكلي التعبير يخصان على التوالي «الروحية» والغيبيات السامية وطبيعة النفس البشرية كما أن تركيبة التعبيرين كل على حدة يناقض الآخر.

(أ) الصوفي المتسامي(٣٧) الذي يكون الكمال بالنسبة له غير مشخص، سامي وخارق للطبيعة، يصف الحصول على الكمال في النهاية على أنه تأليه وعبادة وأنه التحول الكلي للنفس إلى إله. (ب) الإنسان الصوفي الذي يرى أن التجاوب الروحي والاتحاد مع الله هو الحالة التي تجعله أكثر توقعًا للحقيقة، لذا فهو يتحدث عن اكتمال ذلك الاتحاد والتجاوب الروحي وعن صورته المثالية الخالدة على أنه اقتران روحي للروح بالإله.

من الواضح أن هاتين العبارتين مجرد توقعات من البشر حول الشخصية الأصلية لحالة معينة محسوسة أكثر منها محللة أو مدروسة. كما تحملان نفس العلاقة بين الحقائق المقدسة «التي لا ينطبق عليها هذه الحالة مثلما تحمل عندنا نظريات الطبيعة وفلسفة الحياة العمليات الحيوية للبشر. يجب الآن ان نختبر تلك المفاهيم ولكن لا نستطيع فهمها إلا إذا اختبرنا أيضًا تلك الحياة التي تحاول تلك العبارات إيضاحها. فلا تفهم الحالة الروحية إلا بتجربتها والولوج إليها بصفة شخصية.

إن لغة «التأليه» و «الاقتران الروحي» ما زالت لغة غريبة مقترنة بالخبرات الذاتية ولا تتعلق بالحقائق المشاهدة، فهي تصف تسليم الصوفي المدهش بذلك التعبير الجذري الذي يؤثر على شخصيته وتحول كل «الملح والكبريت والزئبق» إلى الذهب النفيس ﴿تحول كل الماديات الزائلة إلى الروحانيات الخالدة﴾ ، على الجانب الآخر تصف نشوة وصول الصوفي «الروحاني» وإدراكه لحبه الأوحد. لذلك فمن الجائز تعلم بعض الأشياء عن الحقيقة الأساسية التي حاولت تلك التعبيرات الرمزية تصويرها وذلك عن طريق المقارنة والتحليل والتنقيب عن العوامل التي تكمن بتلك التعبيرات.

ويصف «الروحانيون» بعض الأعراض المحددة إما عن التمهيدات الضرورية أو عن مميزات ونتاج هذه الحالة من الاتحاد، وهذا أيضًا يساعد في تحديد تلك الشخصية الغامضة.

أما عن التمهيدات الأولى فأهمها الاستسلام الكامل بإنكار الذات والتخلي عن أنانيتها والذي يخلق ذلك تجارب الظلام الدامس. وتقول «جوليان» من النرويج: «أن ذلك هو السبب في عدم استقرار الروح إلا بعد أن تتطهر من كل الذنوب والخطايا. وبعد أن تتطهر الروح من أجل الوصول إلى الله فهي الآن مستعدة لاستقبال ذلك الاستقرار الروحي. فقط تلك الأرواح المطهرة السامية تحظى بالحرية كما تقول مرآة الأرواح «التي تعكس رؤية الأرواح العادية» ، وأن حالة

(37) Hilary Evansi; Alternate States of Consciousness; England First Published; 1889. P. 105. Spirit trance.

الاتحاد هي حالة من المشاركة المطلقة والبنيوية في حياة الخلود. وأكثر ما يميز هذه الحالة:

(١) الانهماك الشديد في شئون تلك الحياة والتي تتوقعها النفس في جميع الأحوال.

(٢) الوعي بتأثير تلك الحالة على الإنسان يخلق نوعًا من الإحساس الكامل بالحرية والصفاء المطلق والذي يجبر النفس على الأنشطة الخلاقة والجهد البطولي.

(٣) بناء النفس على أنها «قوة بالحياة» ومركزًا للطاقة وأبًا حقيقيًا لحيوية الروح في أناس آخرين.

بجمع هذه الأعراض وتحليلها هي وحياة من عاشوها في ضوء علم النفس سوف نحصل بالطبع على بعض شظايا من المعلومات الخاصة بحالة الاتحاد وبعض الأفعال والاعراض الخاصة بها. . .

وبعد ذلك سنعتبر حياة الاتحاد(٣٨) كما اتضحت من رؤية علماء النفس. وكما وصفها الروحانيون والذين اتبعوها. (أ) لغة التأليه. (ب) الاقتران الروحي.

(٣) أخيرًا قدر المستطاع سنتناول أصحاب هذه الحياة حتى ندركها كاملة العناصر.

(١) بالنسبة لرأي علم النفس عن ما تقدمه النظرية المتعددة لحياة الاتحاد فإنه من الممكن أن يقول أنهم قد أظهروا تلك المفاهيم النهائية الناجحة بهذا الشكل الراقي من الوعي الذي ظل يجاهد من أجل الكمال خلال كل هذا الطريق الصوفي. فأغنى وأعمق المستويات في الشخصية الإنسانية قد أدركت النور والحرية. والنفس قد أعيد تشكيلها وتحولت، اتحدت في النهاية مع ذاتها. ومع انقطاع الضغوط تتحرر القوة من أجل أهداف جديدة.

ويقول «ديلا كرويكس» Delacroixأن «بداية الحياة الصوفية قد أدخلت في الحياة الخاصة للرعية مجموعة من الاوضاع التي تميزت ببعض الخصائص المحددة التي كونت نظام سيكولوجي معين. ومن اسم هذا النظام نجد أنه أخمد وألغى «النفس المعتادة» ومع تطوره قد بنى شخصية جديدة ذات إحساس جديد للإحساس والأداء. وتطور هذا لنظام يؤدي إلى تحول Transformation الشخصية: فيقضي على الشعور الفطري بالأنانية ويستبدله بشعور أشمل، هو الاختفاء التام لنفس البدائية Primitive وإحلال النفس الروحانية السامية محلها Divine» . ونستطيع أن نعي هذا التصور لو قلنا أن الإنسان في هذه الحالة الاتحادية ومن خلال هذا الاستبدال يصل في النهاية إلى الحرية الحقيقية «يعيش الاستمتاع بالحقيقة» . لذلك فإنه يفتح آفاقًا جديدة لتتدفق بها تلك القوى المنتصرة الغالبة والتي هي جوهر الحقيقة، وكما يمكن للإنسان بإعادة تشكيل الشعور لديه وكنتيجة لكل

---

(38) E. Underhill; A study in the nature and the Development of Man's Spiritual Consciousness London; 1949 ،p. p 354 - 355.

يتحدث أندرهيل عن حياة الاتحاد باعتبارها حالة من السمو الروحي يتلقى فيها المتأملون نوعان من الإلهام الذي يصل بالشخصية المسيحية إلى حالة الحلول Incarnation التي من خلالها يفهمون حياة المطلق.

ذلك التغيير فإنه «ينتقل إلى الحياة الاتحادية والتي ما زالت غريبة ولكنها ملكنا Transplanted into the unitive life» .

ومن هذا الاتصال الذي تم مع الحياة الكونية، فإن كلمة الله الفاعلة المفعمة بالطاقة «والتي لا يمكن أن يحويها أي شيء» من كل تلك المستويات العميقة للحياة والتي ترجع إليها كل التحولات، التكيف التام للشخصية تدريجيًا في النهاية، وهذا يمثل القوة المذهلة، الامان الدائم الراسخ، والقدرة على التعامل مع الأمور والتي هي واحدة من أكثر الخصائص المميزة لحياة الاتحاد «تلك الشخصية الغامضة الخالدة من النوع السامي الرفيع» والتي أعطت النفس السطحية الزائفة إشارات زائفة بتواجدها في كل مرحلة من مراحل التطور الصوفي حتى تصبح هذه النفس هي النفس الحقيقية الخالدة بعد أن أدركت قدرها شعوريًا وفي النهاية تكون على الوجه الأكمل في ستائر الليلة المظلمة (المنيرة) حيث تهزم آخر عناصر الشخصية الجامحة.

ففي ضنك الظلام الدامس تهزم النفس آخر العناصر المتمردة في الشخصية. فلم تعد هناك التصرفات القاصرة على الفهم العميق فهناك بصيرة وفهم كامل للخلود، ولم يعد ذلك الاعتماد على الوسطاء الروحيين للحصول على نشوة التأمل Ecstasy. الروح والجسد قد اتحدا. فأوجدا الصوفي الروحاني حلًا لتناقض «ستيفنسون Stevensonian(٣٩)» الوهمي والحقيقة أن الروح والجد واحد وليس اثنان.

(٢) إن الصوفي سوف يقتنع بتلك الاوصاف كما هي وإلى أي مدى ولكن من المحتمل أن يترجمها بكلماته ويصقلها ببعض التوضيح وذلك من خلال قوة ودائرة اختصاص علم النفس. سوف يقول أن بحثه الدائم ومخالطته للحقيقة السامية، اتحاده مع الله قد تم أخيرًا، فال. . . . . من ملامة النفس فإنه يخترقها – كالإسفنجة في البحر – محيط الحياة والحب الذي حصلت عليه. «أنا أعيش ولست أنا ولكنه الله بداخلي» . إن الصوفي العظيم يعي الآن بأنه قد تطهر أخيرًا من وصمات ذلك الانفصال وقد أصبح – بشكل غامض – «ذلك الذي رآه».(٤٠)

وفي كلمات الشاعر الصوفي، نجد أن الرحلة الروحانية لم تنتهِ بالوصول إلى الله ولكن مع الله. فقد دخل الروحاني في المرحلة الخالدة ووصل إلى الحالة التي من خلالها يتحكم «مغناطيس» العالم في كل الكائنات الحية. فالانتقال من الفرح إلى الكرب والحزن بشكل متناوب، وبعد أن تستيقظ النفس «الروحانية» واستقرت «فقد ذاقت نيران الحب والألم» فالإنسان يشعر الآن داخليًا أنه قد اتجه نحو حياة دائمة سامية ذات منظور ثابت. فقد كان «انسوفار Ansovar» روحانيًا عظيمًا، كان يشعر أيضًا أن هذا المنظور لم يكن فقط مجرد ضربًا من المعرفة ونوعًا معينًا من السلوك ولكنه بالرغم من شدته، نشوته، وسموه فإنه في حالة من تواجد وتحقيق الحب الذي يدفع الروحاني بإصرار وحزم لذلك المكان.

(39) What is Enlightment; p. 48.

(40) Delacroix; Etudes Sur Le Mysticism, P. 197.

ومن خلال الاستعارة الكيميائية نستطيع أن نقول أن نيران الحب قد ثبت مفعولها وحولت كل العناصر الزائفة من الملح «الكبريت» في العقل والحس إلى المعادن الروحانية النفيسة في الإنسان. لقد ذهب النقص وحل محله الكمال وأشرق ذهب الروحانية البشرية.

(أ) لقد قلنا أن الروحاني من ذلك النوع اللا شخصي والذي يبحث عن التسامي المطلق Absolute Transcendent يميل إلى وصف إكمال رحلته بلغة التأليه. فحياة الاتحاد تعني له ولكل من يدركها شيئًا تتسامى أعراضه بشكل لا نهائي، شيئًا لا تستطيع عامة الناس العاديون أن يأملوا فهمه. فيوضح الروحاني أنه من خلال هذه الحياة يشارك مباشرة في الطبيعة الإلهية، فيستمتع بالوصول للحقيقة. فمنذ أن «رأينا من نحن» فإن نظرية التأليه تنبثق منطقيًا وتلقائيًا من تلك المعاني.

ويقول مؤلف «اللاهوتية الألمانية» (٤١): «إن البعض قد يتساءل من هذا حتى يشارك في الطبيعة الإلهية أو يكون الرجل الإله؟ الإجابة: الذي تشرب واستنار بذلك الضوء الخالد واستنار بذلك الحب الالهي، لا بد من كونه رجلًا عظيمًا مُأَله اقتبس من الطبيعة الإلهية» .

وهذه النظرية التأليهية تنتج بشكل طبيعي ومنطقي من هذا الاعتقاد.

كلمة «التأليه» بالطبع ليست مصطلح علمي. فهي كناية، تعبير فني يحاول التلميح لحقيقة سامية تعلو كل قوى العقل البشري، لذلك فإنها: تلك الحقيقة التي أدركها «دانتي Dante» و «مقدمتها الغامضة» عندما رأى القديسين كأوراق زهرة اللانهاية «الخلود» . ولأننا لا نعلم ذات «الله» فمجرد القول بأن الروح تتحول وتتحد معه قد ينقل لنا تصور مبشر ولكن لا يمكن أن يعطي لنا معلومات دقيقة أو مؤكدة، إلا لهؤلاء أصحاب النفوس النادرة التي عاشت تلك الحلات من السمو. هذه النفوس – أو نسبة كبيرة منها – تستقبل هذا التصور على أنه تقريبًا صحيح في حين أن الناس الأكثر تبصُرًا حذرين في تصنيفه بشكل يستثني توضيح لمذهب وحدة الوجود ويدفه الاتهام بأن الصوفيين أقروا بانعدام النفس ويرون أنفسهم في مساواة مع الله، فيجعلوننا على يقين بأن هذا التصور يعطي تجربة محددة طبيعية لأرواح كثيرة أدركت تلك المستويات من حيوية الروح. ومصطلحات هذا التصور قد استخدمها أصلًا الروحانيون الذين توقعوا الحقيقة كحالة ومكانة وليست كشخص والذين اتخذوا تلك العلامات للتحول أو إعادة الميلاد في وصف رحلتهم إلى «الله» .

لقد أثارت اللغة الهادئة الإيجابية لهؤلاء المتأملون عن التأليه العداوة بين غير الصوفيين أكثر من أي نظريات أو طقوس مارسوها.

وطبعًا من السهل، عن طريق قصر النفس على السطحية والزيف، أن تسمى هذه اللغة لغة كافرة ونادرًا ما يقاوم الإغواء لفعل ذلك. والآن قد أدركنا حقًا أن هذه النظرية تبقى في القلب ليس فقط في الروحانية المطلقة وبكن في الفلسفة

(41) Theologia Germanica ،Cap. Xli Parg XXX 115 130 and XXXi 120.
See too; What the Enlightment. P. 49.

والدين على الأكثر. فهي تدفع بمبادئهم الأولى إلى نهاية منطقية. والروحانية المسيحية، كما تقول «ديلا كرويكس» ، تنبثق من ذلك «التوق الدائم والنصف قاس للتأليه والعبادة والذي تتضمنه كل الأديان» . فالمسيحية الشرقية قد تقبلتها وعبرت عنها في طقوسها. «الذات الإلهية قد ألَّهتني، وأطعمتني» ، يقول ذلك «سيميون ميتافراستس» ، ألَّهت نفسي، وأطعمتُ روحي بأسلوب غامض لا يُدرك «.

الروحانيون المسيحيون قد فسروا مذهب تأنيس الإله «Humanizig of God»(٤٢) عن طريق عرضة كنتيجة رئيسية لعقيدة التجسد. كينونة الله في صورة بشرية.

ويقول القديس «أثاناسيوس» : «أصبح رجلًا من الممكن أن نكون جعلناه إلهًا» . ويقول القديس أوغسطين: «لقد سمعت صوتك من أعلى يصيح فيَّ أنا طعام الكمال، وعندما تقوى تمامًا ستطعمني ولكن لن تستطيع أن تحولني مثلك كما غيرت غذاءك في حين تستطيع أن تتحول أنت وتتحد معي» . لذلك كتب إكهارت امتدادًا لذلك الرأي الكنسي: «إلهنا يقول كل نفسٍ تحيا لقد أصبحت بشرًا من أجلكم فإن لم تصبحوا آلهة من أجلي فقد أثمتم» .

لو سلمنا بأن المتصوفة الروحانيين «Mystics» دائمًا يدركون ما يصبون إليه، فلابد من التسلمين بأن ذلك الوصول يتضمن تحول النفس إلى تلك الحالة التي يسمونها «التأليه» . إن هذا التحول ذو أهمية وطيدة تتعلق بوظيفة الروحانيين الأولى: «فمذهب أننا طالما رأينا من نحن، كنا ما رأيناه» . يبرره إكهارت بلغة بالغة «التأليه» قائلًا: «لو أني عرفت الله مباشرة فقد أصبحت هو وأصبح هو أنا بشكل تام، لذلك فـ «الله» و «أنا» هذا قد أصبحنا كيانًا واحدًا» .

يقول القديس أوغسطين أن الله هو موطن الروح، «The Country Of Soul»(٤٣) بيتها كما يقول «رويسبرويك» . الصوفي الروحاني في حالة الاتحاد يعيش في وطنه الأصلي ليس بغريب أو أجنبي ولكنه عائد من المنفى، والآن قد تعرف على تلك الحياة وأصبح جزءً منها وعلاوة على ذلك محتفظًا بشخصيته في صحة وسلام. فكما أنه لا أحد يعرف روح إنجلترا إلا الإنجليزي الذين يعرفونها عن طريق المشاركة الوجدانية والاندماج وليس عن طريق التفكير، لذا لا أحد غير «المُألَّه» Diefied(٤٤) يعرف الحياة الخفية «لله» . هذه المعرفة تُمنح فقط بالمشاركة، عن طريق العيش بتلك الحياة، وتنفس هواءها، «الاتحاد بنفس الضوء الذي يسيرون عليه ويرونه» . إنها أحد حقوق المواطنة والتي لا يمكن أن تمنح بشكل

(42) What is Enlightenment; p. 50.
Athanasius; De incarn; Verbi; 108.

(٤٣) يقول شيمون: " إن الجسد الإلهي يؤلهني ويطعمني إنه يؤله روحي ويطعم نفسي. . . ".
The Body Of God deifies me feeds me. says Simon Meta phrastes. It feeds My Soul in An incomprehensible manner.
صلوات ما قبل الاتحاد في الكنيسة الشرقية.

(44) See too Ruys broeck; Deornato; p. 50.

مصطنع. إذًا فإنه من المهم أن نسأل الروحانيين عن تلك الحياة التي عاشوها في أحضان الحقيقة وما يمكن أن يقولوه لنا عنها، وأن نتقبل تقريراتهم بدون أي تحامل مهما صعُبت الأقاويل التي تتضمنها.

أول شيء نتج عن تلك التقارير والرموز هو أن اهتمام الروحانيين في المرتبة الأولى كان إقامة حقيقة بيننا وهي أن التأليه يجعلهم لا يقصدون أي ادعاء متعجرف بتحقيق الذاتية» identification «مع الله، ولكن انتقال الانفس إلى الله بيد الله والدخول للنوع الآخر من الحياة – نوع سامٍ ومتناغم مع الحقيقة يمكن أن يطلق عليه صفات الالهي المقدس. ويؤكدون ثانية أن الشخصية لا تمحى ولكنها تصبح أكثر من حقيقية.

وعندما قال القديس أوغسطين: «سألتصق بك بكل قواي، فقد أتحمل العناء والألم بدون مقابل وستصبح حياتي حقيقية عندما أتحد بك» ولأنها ستكون مليئة بك أنت.

«ستصبح حياتي حقيقية» لأنها «مليئة بك» أصبح إدراك الحقيقة والتأليه شيئًا واحدًا وذلك بالتأكيد لأنه لا شيء حقيقي إلا الإلهي المقدس» «Only The Devine is Real».

وترى «ميتشيلد» من ماجديبرج «Michtheld of Magdeburg»(٤٥) أن الألوهية كاللهب ونهر من النار يملأ الكون، والأرواح المؤلهة كالشرارات المتوهجة التي تشعل تلك النيران، هنا تجلى أحد الأشياء، أما رويسبرويك ترى أيضًا: «أن كل روح تشبه الفحم الحي الذي يحرقه الله في قلب جبه التسامي الرمزية اللانهائي» . وصورة «النار» . ويري الكثيرين من الصوفية أن هذه الحالة تطابق حالة كوصف ومعنى دقيق لتلك الحالة التي اختلفت عليها الأوصاف. وانتهت الحيرة عندما انقشعت سحابة الجهل ووجدوا هدفهم: تلك النيران التي ترشد أطفال إسرائيل في الليل. عند استئناف تلك القوى الطبيعية كتشبيه، النار والحرارة والضوء والماء والهواء، أصبح كتَّاب الصوفية قادرين على إدراك أحد جوانب الألوهية ومشاركة الروح المتحولة فيها، والتي لا تستطيع أي لغة شخصية مجردة أن تصفها.

يحاول «بوهمه Boehme» وصف تلك الحالة الاتحادية بين الكلمة والروح قائلًا: «سأعطيك مثال دنيوي كتشبيه، انظر إلى قطعة معدنية مشتعلة، فهي في الأصل سوداء قاتمة وعندما اخترقتها النار أشرقت وأضاءت. هنا لم تتحول القطعة المعدنية فما زالت كما هي وكذلك النار لم تختفِ بها قطعة المعدن فعندما تتحدان تضيء قطعة المعدن وعند انفصالها كل يعود إلى خواصه. كذلك الروح عندما «تتألـه» ، الله يخترق الروح ويتعمق فيها ولكن الروح لا تشمل الله، والله الذي يشملها ولكنه لا يحولها من – «روح» إلى «الله» – فيعطيها فقط خاصية الجلال الإلهي. (٤٦)

(45) Ibid; p. 51.
See too E. Underhill; The unitive state; p. 51 ،52.

(٤٦) هذا المثال قريب الشبه بدخول صوفية المسلمين إلى حال الفناء والعودة منه إلى البقاء ففي الفناء يضئ

نفس الصورة الألوهية تقريبًا استخدمها «ريتشارد» من القديس «فيكتور Victor» أحد الروحانيين الصوفية الذي كان يحب القراءة له. «عندما تنغمس الروح في نار الحب الإلهي» يقول أنها: «مثل قطعة المعدن تفقد لونها في البداية ثم تبيضُّ مع الحرارة ثم تتلون بلون النار وأخيرًا تنصهر فتصبح سائل، قد تحولت إلى شكل مختلف تمامًا» . «كذلك الاختلاف بين الروحَيْن، الفاترة والتي أُجِّجَت بنار الحب الإلهي» . روحانيون آخرون يقولون أن الروح المألهة حولتها فيضانات من الضوء الرباني مثل الجمرة التي تشتعل بالفرن فتصبح مثل النار. «هذه الأرواح» يقول الصوت المقدس إلى القديس «كاترين» بسيناء: «تلقى في أتون عنايتي لا يبقى شيئًا من إرادتهم خارجها فتتأجَّج كاملة فيَّ مثل الجمرة التي تستهلك تمامًا في الأتون فلا يستطيع أحد الإمساك بها ليفنيها أو يحطمها لأنها أصبحت نارًا. كذلك تلك الأرواح لا يستطيع أحد أن يقبضها أو يدفعها بعيدًا عني لأننا قد أصبحنا واحداً ولن أنسحب منهم أبدًا عن طريق العقل فأنا أقودهم إلى الكمال

للحصول على أكثر هذه الأوصاف دقة ومطابقة يجب أن نلجأ لعبقرية «رويسبرويك» هو الوحيد الذى تضمن السعادة التي لا توصف خلال تلك الحالة الاتحادية في حين أنه تجنب كل مصايدها وشراكها، وذلك بمقياس يبدو أنه أسمى من كل ما يمكن نطقه على لسان البشر. الخوف، النشوة، الغموض اللاهوتي، الإدراك النفسي الشديد، كل ذلك قد عُدِّل هنا بشكل مبسط. «التقبل المتواضع» ، و «انعدام الذات الرقيق» عند رويسبرويك وعند كل الصوفية العظماء هو بوابة الدخول إلى مدينة الله.

«لأنهم قد قدموا أنفسهم خالصة لله في كل شيء حتى في المعاناة» يستتبع قائلًا عن الأرواح المألهة: «إنها في سلام دائم ونشوة داخلية، عزاء، ومذاق خاص لا يمكن لأي متصنع أن يستمتع بع أو لأي إنسان يظن نفسه أعلى من الله» .

علاوة على ذلك، فإن هؤلاء المستنيرون يرون(٤٧) «حب الله» شيئًا يسحبهم ويدخلهم في حالة الاتحاد هذه فيشعرون أن الأب مع ولده كل منهم يحضن الآخر في طيف مقدس، يسحبون أنفسهم للخلف يعودون بحب خالد في تلك الحالة الاتحادية. فقد سمعنا تقريرًا عن شخص سمع «دعوة الحب» التي «تسحب النفس من الداخل في اتجاه الله» وتقول «عودوا لوطنكم» . لذلك فحياة الاتحاد تجذب وتدعو إليها كل شيء انبثق منها إما تلقائيًا أو بطريق القوة الأخلاقية. لذلك أيضًا فإن هؤلاء الصوفية قد ارتقوا لما هو أسمى من التفكير والعقل، نظروا الحقيقة وعاشوا حالة الاستدعاء الإلهي. ومع هذا الإدراك الواضح مروا

السالك عن نفسه وعما سوى الله ولا يبقى إلا بالله وفي الله راجع حال الفناء في التصوف الاسلامي، د.إبراهيم ياسين، دار المعارف، ١٩٩٣م ، صـ ٣٤-٤٢-٦١
See The unitive state; What is Enlightment ،p. 52.

(٤٧) تبدو حالة الاستنارة عودة إلى الأصل الذي انبثقت منه الروح أو عودة إلى الوطن الالهي المقدس، إنها تجاوز لظلام الجسد وعبور إلى ما هو أسمى من العقل والفكر .

بالكثير من التجارب والاختبارات حتى وصلوا إلى قمة الروحانية. وهناك يتشبع ذلك الإدراك بالبهاء الخالد كما يتشبع الهواء بأشعة الشمس المشرقة وكذلك المعدن بالنار، فتتشبع الإرادة السامية وتتحول بذلك الحب السحيق، وتشعر بأنها دخلت في عالم خالي من الكذب والوهم إلى الأبد. هذا العالم تتحد فيه الصورة المبتدعة بالصورة الأبدية والتي هي الأصل. . . ومع ذلك لم يصبح بعد المخلوق «إله» لأن الاتحاد قد حدث في ذات الله عن طريق الفضيلة والحب العميق. لذلك فهذا المخلوق يشعر دائمًا بالاختلاف بينه وبين الله. فبالرغم هذا الاتحاد لا يزال كل ما يفعله الله في السماء وفي الأرض غائبًا عن تلك الروح، مع أن الله يذعن نفسه في جوهر الروح في فطنة وحصافة تامة حيث تسمو القوى الروحية على العقل وتتحمل في بساطة عناء التحول الإلهي. هناك في تلك الحياة كل شيء كامل وفياض حيث تشعر الروح بأنها أحد القيم الصادقة والغنية فهي في وحدة مع الله. ولكن مع ذلك يوجد اتجاه تقدمي مهم وفرق واضح بين كيان الروح وكيان الله وهذا الفارق من أسمى وأفضل الفوارق التي نستطيع الشعور بها.

«عندما يرتقي بنا الحب أعلى وفوق كل شيء» . يقول رويسبرويك في موضع آخر: «فوق الضوء في الظلام الإلهي وهناك نكتب ونتحول بالكلمة الإلهية التي هي صورة الأب فيخترقنا ذلك الضياء الغامض كما تخترق أشعة الشمس الهواء عندما نستقبله بهدوء النفس. هذا الضوء وهذه الرؤية ونظرة محدقة بشكل لا نهائي. فنرى من نحن ونكون ما رأيناه، لأن حياتنا وتفكيرنا قد ارتقوا واتحدوا مع الحقيقة التي هي " الله "» .

تناقص الجانب البشري في حياة اللانهاية إلى أقل ما يمكن ولكن لم يفسد أي من القيم الثمينة الحب، النشاط، الإرادة. ويبدو أن هناك رؤية أخرى فوق كل مستويات العقل البشري، وتفكر في شيء آخر: الوطن، الأمل، العذاب، إكمال الشخصية، وجوهر كل ذلك. هذا التأمل الذي لا ينتهي والغموض في جوهر الفضيلة، الحق والجمال هو أساس تلك الرؤية وأساس المشاركة في حياة اللانهاية، هو أساس كل الأشياء السارة المحبوبة المرغوبة من قِبل محبيها. وهذا ما يقدمه لنا علم اللاهوت على أنه نزاهة الروح.

هؤلاء الصوفية ينزعون إلى استخدام تلك الرموز الغير البشرية ويرون دائمًا أن في حياة الاتحاد بعض التوقع الطوباوي السعيد: فالدخول هنا وفي تلك الحياة الأبدية مع الله والتي ستعيشها كل الأرواح المثالية عندما تتطهر من كل الأفكار الدنيوية وتعود للحقيقة التي انبثقت منها.

فبالنسبة لهم «الرجل المألـه» في شرف ارتقاءه للحقيقة قطع الكثير عبر التاريخ الإنساني وادرك نوعًا من الشعور لن يعرفه الآخرون من البشر إلا بعد انتهاء الحياة على الأرض.

في كتاب الحقيقة، تعقد سوسو مقارنة شعرية شيقة بين حياة الأرواح المباركة التي تغوص في محيط الحب الإلهي، وحياة الروحاني على الأرض والذي تبرأ من أنانيته وانغمست إرادته في الحقيقة الأبدية. وهنا نجد أفضل إجابة ذلك

الاتهام القديم الأبدي بمحو شخصية الروحانيين عند إرادتهم لتلك الحياة. يقول «العبد الخادم» : «قال لي إلهي ما يبقى للروح المباركة التي نزهت نفسها كليًا» يقول الحق: «عندما يدرك العبد الصادق الخيِّر تلك السعادة الخاصة بدخوله دنيا الله حيث يشعر بالسعادة التي لا توصف فيصيبه الذهول كالسَّكارى. فينسى العبد نفسه(٤٨)، لم يعد يشعر بأي من أنانيته فهو يختفي في الله يصبح معه في روح واحدة مثل نقطة الماء التي اختفت في كمية كبيرة جدًا من الخمر، فكما تختفي قطرة الماء، تتلون بلون الخمر وتأخذ نفس الطعم كذلك الروحاني في اتحاده مع الله. قد تلاشت كل رغبات البشر بداخلهم بشكل غامض لذلك لا يحب أن يبقى من النفس شيء في مواجهة الحضور الالهي في كل شيء. كما ابتدئ «سكريبتشر» والذي يقول أن الله لا بد أن يكون كل شيء في كل شيء ومع ذلك فكيانه ما زال موجودًا ولكن في شيء آخر، مجد آخر، وقوة أخرى. وكل ذلك ينتج عن الزهد والانكار الكامل للذات. وهنا ستجد إجابة لسؤالك، وهو أن الانكار الصحيح للذات والتسليم الكامل للإرادة الإلهية في ذلك العالم الدنيوي يقلل من هجر النفس للروحانيات، وهذا ما يتحدث عنه «سكريبتشر» لأن ذلك يتوقف على مدى تقرب البشر من الله فيتحدون مع الله بنفس القدر.

ويلاحظ أن الصوفي الروحاني: يجرد نفسه من شخصيته الأصلية ثم ينتقل إلى شكل آخر، مجد آخر، وقوة أخرى. إذًما هو الشكل الآخر إذا لم يكن الطبيعة الإلهية التي انغمسوا بها والتي غاصت بداخلهم وأصبحوا شيئًا واحدًا؟. وما هو هذا المجد إذا لم يكن النور والإشراق الذي يصنعه ذلك الضوء المنيع؟. ما هي تلك القوة إذا لم تكن القوى التي يكتسبها الإنسان عند اتحاده مع الذات الإلهية، قوى إلهية مباركة تمحو كل ما هو ضدها؟. لذلك فإنه كما يقال أن الإنسان آتٍ قريبًا من ذاته وعلى وشك العودة من أنانيته.

أقر الصوفية الروحانيون أنه لا بد من إنكار الذات والتجرد من أنانيتها، وترك الذات يكون من أجل التوجه إلى ما هو أشمل، فلا بد من ذلك لإدراك حياة الاتحاد. هذا التجرد المؤقت للعقل يجعل المتأمل يصنع مكانًا لرؤية الله، هذا التجرد لا بد أن يطبق في كل الحياة. وهنا يقول الروحانيون أن هناك ابتلاع في النهاية للـ «أنا» والفردية التي نتعرف عليها في أنفسنا. فهي تذهب إلى الأبد ويحل محلها شيء جديد. وتصبح النفس جزءً من الكيان الروحي لله، فتأخذ مكانها في تواضع وخضوع في حياة الاتحاد الحقيقية «فتكون السعادة بذلك الخير الأبدي الذي مد يده للإنسان» . وبهذا يستقر الجدل الذي أثير حول «توق الله إلى الروح» وعن ذلك «الطمع والكرم في وقت واحد» . ووجد إجابة مُرضية. «فكل هذا الإله وكل ما يملك يعطيه، ونحن بكل

(٤٨) يمرالصوفي المسلم في طريقة إلى تحقيق المعية أو الفناء في الله ثم البقاء به ومعه. بمجموعة من الأحوال كالغيبة والحضور، والسكر والصحو ثم الفناء والبقاء. . . الخ.
راجع إبراهيم ياسين (الدكتور)، حال الفناء في التصوف الاسلامي، صـ ٥: ١٥.

ما نملك يأخذنا» ويقول أن النفس تنغمس وتبتلع الهاوية، «فهي تغوص في الله الذي هو أعمق الأعماق» . وينزع الروحانيون في وصفهم لحياة الاتحاد لاستخدام الصور الغريبة مثل اللهب والاحتراق، وعندما صرخ «رويسبرويك» Ruysbroeck(٤٩): «أن تأكُل وتُؤكل! هذا هو الاتحاد!. . . في حين أن رغبة الله في ذلك لا تدهشني كثيرًا» .

(ب) في هذه النقطة نجد أن لغة «التأليه» غير كافية لوصف إدراك الروح الأخير للحقيقة الروحية. لذا فإننا نحتاج الإنساني والعاطفي إذا كان «الاتحاد مع الله» عبارة عما تعنيه.

من هنا نجد أن أنه حتى الأكثر روحانية يرجعون إلى لغة الحب في اجتهاداتهم للتعبير عن نشوة الألوهية، ولكن لا بد أن يعلموا أن اتحاد المحب بمحبوبته لا يصلح في مثل تلك الأمور الدينية الفلسفية المقدسة وتلك اللغة الجافة تصف أخطر الجوانب في حياة الاتحاد ولكنها تفشل في التعبير عن أكثر الجوانب بهاءً في هذه التجربة المثيرة. فتحتاج للرؤية الشخصية والتقرب من الامر لإتمام الوصف. وهذا ما سنجده في تقارير هؤلاء الروحانيين الذين يرون حياة الاتحاد لا تعني في جوهرها فقدان الذات ولكنها تعني الكمال للذات عندما يتوحد القلب والإرادة.

هذا الشكل من الإدراك يجد بالطبع تعبيرًا عنه من خلال الرموز المعروفة والتي أسيء استخدامها في الاقتران الروحي بين الله والروح: الرمزية والتي ترجع إلى الروايات الأورفية ثم انحدرت بطريق الأفلاطونيين المحدثين خلال التيار المسيحي. ولكن يوجد ما يجسدها ويخلو تمامًا من الاخطار التي تكمن في الصور الغزلية من هذا النوع. لذلك فقد استخدم الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي الاستعارات القاسية ولكنها مشبعة بالمشاعر والعاطفة – بشكل لا يقل نجاحًا عن كاتب «أغنية الأغاني» الذي عبر عن سر اتحاده والذي «يتحدث فيها القلب إلى القلب»(٥٠):

هذه روحي مع روحك الجميلة
امتزجت معها كالماء والخمر.
من يستطيع فصل الماء والخمر،
أو أنا وأنت عندما نتحد؟
لقد أصبحت أنت نفسي الأعظم؛

(٤٩) يصرح رويسبرويك Ruysbroeck بأنه على السالك إلى الله أو الصوفي أن يستسلم بالكلية لله، وأن يترك الفعل ومعاناه الأمر واحتماله لله، وأن تذهب الروح في اتحاد مقدس مع الروح الالهي. المترجم.
See E. Underhill; The unitive state; p. 530.

(50) Jalal Aldin Alrumi; The Festival of Spring; Hastie's Translation. P. 10.
See E. Underhill; The unitive state; p. 57.

– تحاول إيفلين أندرهيل الاستدلال على أن الصوفية الايرانيون المسلمون من أمثال جلال الدين الرومي يقولون مثلما يقول الصوفية المسيحيون باتحاد الله في الانسان أو الحلول في الانسان والعكس.
تتوازى هذه المعاني مع ما قدمه الصوفي المختلف في أمره الحسين بن منصور الحلاج ٣٠٩ هـ الذي قال:
= المترجم. راجع: الطواسين، تحقيق

أنا من أهوى ? ومن أهوى أنا
نحن روحان ? حللنا بدنًا
فإذا أبصرته أبصرتني ? وإذا أبصرتني أبصرتنا

لم يعد في استطاعتي تحدي القيود الصغيرة
ومع ذلك لقد أخذت كياني،
وأنا لن آخذ كيانك؟
أنا، أنت قد اتحدنا للأبد،
حتى أنني دائمًا أراك أنا.
حبك قد اخترقني تمامًا،
رجفته ضفرت العظام والأعصاب.
سأستقر كالناي بين شفتيك؛
طنبور يضطجع على صدرك.
تنفس بعمق في حتى أتنهد
اضرب قيودي تنير الدموع» .

Strike My Stnrig and tears shll Shine[٥١]

وهنا يريد الصوفي أن يخبرنا أن الحياة الجديدة ليست مجرد مشاركة حرة واعية في حياة الخلود أو تواجد تام في المستويات السامية من الحقيقة. ولكنها أيضًا المشاركة الشعورية في تلك الرفقة وفي حياة شخصية أعظم من حياته السابقة، وتوثيق روابط تلك الرفقة السامية التي نمت في حب وصفاء خلال تلك الرحلة الروحانية. هذه الرفقة المحيرة تفوق كل الكلام والحديث. كذلك الأساطير عن التجاوب الروحي في الحب، فخضوع النفس وحيويتها وفدائيتها، هم مصدر مجدها: وعن طريق ذلك الحب تصبح في مساواة معه – أصبحت الخادمة الفقيرة تشارك في عرش «كوفيتو» .

لذلك قام كاتب [المرآة] في أحد أجرأ الفقرات بكتابه: «يقول الحب أنا الله لأن الحب هو الله والله هو الحب، وهذه الروح هي الله خلال الحب: ولكني أنا الله بالطبيعة الإلهية. وهذه الحالة ملك لها عن طريق الحب العادل الخيِّر. لذلك فإن محبوبتي الغالية قد تعلمت مني وانقادت لي دون أن تفعل شيئًا. هذه الروح هي النسر الذي يحلق عاليًا وعاليًا، أعلى من أي طائر آخر ذلك أن ريشها هو ذلك الحب السامي» .

إن أبسط تعبير وتفسير لحياة الاتحاد يمكن ان نصرِّح به هو أنها الإتمام الشعوري الكامل لذلك الحب المثالي. فالأرواح المختارة تكون في الجسد، ترتقي وترتقي، حتى تغادر الأجساد وتصبح بلغة «المرآة» آلهة عن طريق الحب «God by condition of love»(٥٢). وقد حاولت الروحانية الإنجليزية كمذهب أن تعبر هذه الحالة التي تفوق الوصف في شكل معتدل وبسيط.

يقول الكاتب الغير معروف لـ «رسالة الصلاة» :[«سأكون ما عرفتني» ، «ماذا يحدث وما هي تلك العلاقة التي تربط الروح البشرية بالآلهة وتجعلهما كيانًا واحدًا عن طريق الحب وتبعًا للإرادة كما يقول القديس بولس سانت بول: «من يقترب من الله بذلك الحب المقدس وتلك العلاقة المبجلة فإنه مع الله روح واحدة» على الرغم من الاختلاف العظيم في النوع بين الإنسان والإله ولكنهما يرتبطان بشدة روحيًا سوَّى بينهما الحب وبذلك تقترن الروح بالله ولا يمكن التفريق بينهما أبدًا غلا بارتكاب ذنب مُهلِك. إن الشعور الروحي بالاتحاد يجعل الروح المُحبة تغني ذلك

(51) What is Enlightment ،p. 57.

(52) The Epistle of prayer; Printed from Pepwell's edition in the cell of self knowledge edited by Edumand Gardner ،p. 88.

الكـلام المقـدس الـذي ورد فـي كتـاب الأغـاني بالكتاب المقدس «إن حبيبي لي وأنا له» ، بمعنى أن الله سيتحد «سيلصق بالغراء الروحي للفضيلة» بالفضيلة في عالمه، وبالرضا الجميل في ظل السعادة الروحانية في عالمك» .

استخدام «الغراء الروحي» لتصوير الرابطة بين الروح واللانهاية، بالرغم من أنه تعبير جاف غـر مصـقول ولكنـه طـاهر بـريء تمامًـا. وقـد استخدمت هذه الصورة بدلًا من الصورة الزواجية «الاقتـران» التـي سـارع المتعصـبون ضـعاف التمييـز باعتبارهـا خيـالًا جنسـيًا. ولكنهـا نالـت استحسان الروحـانيين مـن حيث الدقـة والتناسـب عندما ظهرت مرة ثانية في القرن التالي في أحد أعمال متأمل عظيم. يقول «بيترسون» :

«لقد أعطيتني نفسك كي تكون ملكا لي كلها إذ أصبحت أنا كلِّي ملكًا لك، فعندما أصبحت أنا وأنت واحدًا، ستحبني منذ الأزل كما أحببت نفسك منذ الأزل. وذلك لا يعني شيئًا أكثر من أنك تستمتع بنفسك في داخلي وأنا عن طريق القوة الأخلاقية أستمتع بك في نفسي وأستمتع بنفسي داخلك. وعندما أحب نفسي داخلك لن أحب شيئًا غيرك لأنك بداخلي وأنا بداخلك، التصقنا ببعضنا البعض فأصبحنا شيئًا واحدًا. ومن هنا وإلى الأبد لن ننفصل أبدًا»

وبين هذه اللغة ولغة «القران الروحي» التي تفهمها العقول الروحانية السليمة ليس إلا مرحلة. لم يقصدوا بها التعبير عن ذلك الرضا المذهل أو الروحنة الغامضة لكل العوامل الدنيوية ولكن عن تلك الرابطة الأبدية «التي لن تنفصل أو تفقد أبدًا» وعن ذلك الاتحاد القوي بين الإنسان بروحه وإرادته وبين ذات الله البديعة والتي عرفتها ذات الإنسان عن طريق التأمل.

لقد نما وتطور الاتجاه الروحاني بالحب؛ فالنشأة المدروسة لميل الروح داخليًا إلى مصدرها واستئصال كل الاتجاهات الدنيوية المتمردة. لكن النهاية المناسبة الوحيدة للحب هي الاتحاد: «الاتحاد التام والاقتران بين المحب ومحبوبه في كيان واحد» ؟ (٥٣) «إنه مبدأ اتحادي» ، يقول الفلاسفة: أنه لأقوى العوامل في جميع نواحي الحياة.

وكما يحدث في الزواج– الاقتران– الدنيوي ويفهم على أنه على الأقل مجرد إرضاء للشهوة والرغبة أكثر منه جزء من تلك الحياة العظيمة [تزاوج اثنين واندماج نفسيهما من أجل أغراض أخرى، فإن القران الروحي أيضًا له واجباته والتزاماته. عندما تدخل النفس في النظام الإلهي تأتي مسئولية جديدة يجب أن تبذل الجهد لتحمُّلها. فالنفس ترتقي للمرتبة الإلهية(٥٤) وتصبح عاملًا إيجابيًا في تلك الحياة، مركزًا

---

(53) William James; The Varieties Of Religious Experience Mysticism; London 1975. P. p. 371 - 385.

استخدم وليم جيمز William James اشعار الحلاج للتعبير عن هذه الحالة من الاتحاد الروحي يقول في ترجمة معبرة: I am he whom I love and he whom I love is I; we are two souls mingled in one body. أنا من أهوىومن أهوى أنا. . . الحلاج. المترجم.

(54) Cf Ormond ،foundation of knowledge; p. 442.

يقول هيلتون: عندما نحب أي كائن فأننا نرغب إما في التوحد مع حياته، أو توحد حياتنا مع حياته، فالحب مبدأ ودافع داخلي على التوحد. المترجم.

للطاقة والنشاط ومصدرًا للحياة السامية. يقول توما الأكويني «Aquinas» : «أقصى درجات الكمال التي يصل إليها الشيء أن يصبح مصدرًا للأشياء الأخرى. والمخلوق يتجه بوسائل كثيرة نحو «التشبه بالإله» والطريقة الوحيدة لذلك هي أن يكون أصلًا للأشياء الأخرى، كما يقول قانون الإيمان المسيحي [أؤمن بالله الكلي القدرة] .

«Dei enim surmus adjutores»

في دراستنا التاريخية لحياة الروحانيين وجدنا أن حياة الاتحاد بالنسبة لهم تعني، الدخول في حالة إبداعية من القدرة على الحياة والنماء. وتعني أيضًا ذلك الغزو من قبل حياة اللانهاية على الحياة المشتقة الزائلة فتظهر على مدى التاريخ البشري شخصيات ومجالات تبدو خارقة للقوى البشرية. ذلك النشاط والإثمار الروحي يأخذ أشكالًا كثيرة، الذي عندما يغيب نلتقي برغباتنا الشخصية وأنانيتنا، لكن بعد الروحنة والسمو كعلامات لحياة الاتحاد نتأكد من إدراكنا لحياة الخلود.

يقول ريتشارد من سانت فيكتور: لقد سلكنا ذلك الطريق الضيق المباشر الذي لا يؤدي إلى الراحة الأبدية وإنما إلى الحياة الأبدية تلك هي «الدرجة الرابعة من الحب تكون مثمرة روحيًا» . فعندما نجد حبًا عميقًا شديد السلبية أو في سلبية مقدسة فنحن في هرطقة صامتة ولسنا في حياة الاتحاد.

تقول القديسة تريزا: «لقد رأيته حقًا، فالله يعطينا كل تلك النعم – كما قلت لكم دائمًا – لكي يقوّي ضعفنا لعلنا نحاكيه عن طريق المعاناة كثيرًا. . . فقد استدعى سانت بول القوة ليدعم العمل والكد العظيمين! لقد وجدنا فيه آثار التأمل التي بثها به الله وليست من خيالنا أو خداع الشيطان. فهل تعتقد أن القديس بولس قد أخفى نفسه ليستمتع في سلام بالسلوى الروحية ولا يفعل شيئًا آخر؟ فعلى العكس فهو لم يأخذ أبدًا يومًا واحدًا للراحة على حد علمنا وكان يعمل ليلًا لقوت يومه. . . آه يا أخواتي! كم هي نسابة لراحتها وكم هي مهملة للمظاهر، تلك الروح التي اختارها الله في ذلك المكان السامي، أيجب أن تكون كذلك! حيث أنه إذا كان الله هو هدفها الوحيد، فلا أن تنسى ذاتها وتركز كل تفكيرها في كيفية إرضائه، ومتى وكيف ستعلن له وتريه حبها. هذا هو الغرض من الصلاة يا بناتي؛ هذا هو الهدف من الاقتران الروحي الذي دائمًا من يكون أبناؤه هم الأعمال الحسنة. هذه الأعمال هي أفضل دليل على أن ما يأتينا من أفضال ونعم تكون من الله» وتقول في نفس الفصل: «كي نعطي الله إكرامه التام، لا بد أن تتحد ماري ومارتا» . « Mary and Martha must combin» (٥٥)

عندما تناولنا حياة الروحانيين العظماء، وبدايات هذه الحالة – كان هناك الكثير من الغموض كالعادة – وجدنا أننا بصدد قوة حيوية مذهلة وعظيمة «لقوة منتصرة» ليس للظروف عليها أي تأثير.

وفي الحقيقة، يبدو أن تواجد أعمال الخير بشكل دائم هو هدف الروح التي حصنتها تلك

(55) What is Enlightment ،p. 60.

الأعمال داخليًا. ففجأة نجد سانت بول استعبدته تلك القوة العظيمة لينشئ الكنيسة الكاثوليكية وهو ضرير، فقير، لا يملك قوة، أو صحة جيدة ليقيم كل هذه الأسس الضخمة فتجده يقول: «لست أنا ولكنه المسيح بداخلي» . هناك القديسة جان دارك من أطفال طبقة الفلاحين تركت الحظيرة لتقود جيوش فرنسا، فذلك شيء لا يصدَّق فنسمع أن «أصواتها كانت تأمرها» . هناك رسالة تأتيها من خلال قوة غير طبيعية، الحيوية كانت تتدفق داخلها وهي لا تعرف السبب أو الكيفية. فقد اتحدت بحياة الخلود وأصبحت نائبًا لها ووسيطًا لقوتها «كانت يد الله للعبد» .

وهناك أيضًا سانت فرانسيس «شاعر الله» الذي اشتهر بالجراح والمعاناة الشديدة وبالسعادة التي لا توصف أيضًا فهما وجهان لعملة حياة الخلود. القديس الفارس أغناطيوس ليولا «Ignatius of Loyola» كان مقاتلًا ورومانسيًا في نفس الوقت، خرج ليغير التاريخ الروحاني لأوروبا. حيث تعود الأوربيون الحياة العادية الدنيوية في أدنى جو من الحياة الروحانية، إذًا كيف وجدوا تلك القوة المنتصرة روحيًا في ظل تلك الظروف المحبطة؟. قد وجدها فرانسيس في حضرة الصليب عند القديسة «سانت داميانو» St. Damiano وجددها بالتجربة التي تفوق الوصف في لافيرنا «عن طريق النشوة الروحية، المتحصلة من المجد الالهي» ووجدها أغناطيوس في التأمل الطويل والتدريب الشاق في كهف مانريسا بعد التسليم الذي يكرس فيه كل فروسيته لخدمة أم الله «Mother of God» .

ونرى القديسة «تريزا» التي أدركت حياة الاتحاد بعد أن خاضت معارك طويلة ومريرة بين نفسيها السامية والدانية. قد أضعفها المرض المزمن على مدى أكثر من خمسين عامًا، وأيضًا إماتة النفس «Mortification» (٥٦) من أجل التطهر، قد قامت بترك مجالها بعد سنين عمدًا وذلك استجابةً للنداء الداخلي، فقد تركت الدين والرهبنة وبدأت حياة جديدة، خاضتها في أسبانيا وقطعت شوطًا عظيمًا في الإصلاح الديني في ذلك العالم الروحاني. أما الأكثر دهشة، فهي القديسة كاترين في سيناء ابنة أمية من العامة، بعد ثلاث سنوات من العزلة قد تم لها القران الروحي وخرجت من صومعة المعرفة لتتحكم في سياسة إيطاليا.

كيف حدث ذلك واستطاع هؤلاء الرجال والنساء بالرغم من الفقر، المرض تحقيق تلك الإنجازات الهائلة؟ يمكن تفسير ذلك بأنهم كانوا روحانيين عظماء عاشوا مستويات سامية من الحياة الإلهية. كل منهم صاحب شخصية من ذلك النوع البطولي، صاحب حيوية هائلة، وحماس متعمق، وإرادة لا تقاوم، رفعتهم لذلك العالم الروحاني وإلى مستويات أسمى من الشعور. فتصل عبقريتهم الفطرية إلى ما لا نهاية وبلا حدود وأدركوا هدفهم الوحيد وهو الحياة الاتحادية «سأكون بكل سرور الحكمة الخالدة التي تمثل عون الله للعبد» .

«I would fain be the entral Godness what his own hand» (٥٧)

(56) Ibid; p. 61.
(57) Ibid ،p. 61.

حتى أن السيدة «جوينز» بالرغم من ميلها الفطري للحالات الغامضة فقد اتجهت لذلك الطريق الاتحادي. ومع أننا لا نستطيع تصنيفها من أعظم الروحانيين ولكنها أيضًا شعرت بتلك القوة المباركة الخارقة، فقد لُسِعَت من حالة اللامبالاة الكلية لكي تصبح نموذج للفضيلة.

تقول عن دخول النفس حياة الاتحاد: إن «الروح – وما من شك في أنها تصف خلاصة خبراتها بحرص شديد – تشعر بقوة خفية تتعاظم بكيانها وتدريجيًا تستقبل حياة جديدة، لا يمكن أن تفقدها أبدًا على الأقل بشكل مؤكد. . . هذه الحياة الجديدة ليست مثل الحياة التي سبقتها. إنها الحياة في الله، حياة الكمال. وهنا لا تعيش الروح ولا تعمل لأجلها، إن الله يعيش ويعمل داخلها، هذه الحالة تتعاظم تدريجيًا حتى تكتمل الروح من كمال الله، وتغتني من غنى الله، وتحب من حب الله» .

إن حياة الاتحاد الغنية والحقيقية تتميز بالعديد من الخصائص غير التي تم ذكرها سابقًا. يذكرنا «ريتشارد» من «سانت فيكتور» بأنها فعلًا حياة خصبة، خلَّاقة بالإضافة إلى فاعليتها الخالصة في المرحلة الرابعة من الحب الروحي. تلد الروح أطفالها. إنه ميلاد لحيوية الروح في هذا العالم لرفقاء الحياة الاتحادية السامية، والتي هي أمومة لذرية روحانية. إن كل الروحانيين العظماء هم مؤسسي عائلات روحانية ومراكز روحانية انبثقت منها حياة الاتحاد. إن «الضوء الإلهي المتدفق داخلهم» يتركز عليهم كما يتركز على عدسة، ولكنه يمكن أن ينفذ خارجهم لينتشر في كل الأرجاء. كذلك أيضًا العلماء والفنانون المبدعون هم آباء ليس فقط لأعمالهم ولكن لكل المدارس الفنية، ولمجموعات كثيرة من راغبي وورثة رؤيتهم للجمال وللحق.

إن تناول سيرة هؤلاء الروحانيين العظماء، أمثال أغناطيوس، تريزا، وفرانسيس؛ قد خلق جوًا من الحقيقة، وأدى إلى ظهور شخصيات روحانية جديدة تجتمع على العمل الذي بثه هؤلاء الروحانيون العظماء فقد تميزت حياة الاتحادية القديس «بول» – كما تقول الشواهد – بقطار الكنائس المسيحية التي مر بها خلال رحلاته.

أينما ذهب سانت فرانسيس خلف فرانسيسيين «معَطِرين بالروحانية» إلى مدى عجيب غير مسبوق. فظهر «أصدقاء الله» الروحانيون هنا وهناك في «رينلاند» و «بافاريا» . وأصبح كل منهم مركزًا لدائرة دائمة الاتساع من الحياة السامية وأبًا لأسرة روحانيًا. فكانوا كسابقيهم: تنبثق منهم طاقة روحانية للعالم. مرة ثانية، قد غادر أغناطيوس «مانريسا» والعزلة، مشوها، جاهلا، وفقيرا. وأتى إلى روما ولوعًا بروحه وصحبته أو رفاقه كجزء لا يتجزأ من روحانيته، وقد صار تنوع أطفاله جزء لا يتجزأ من حياته.

أما القديسة «تريزا» فقد وجدت فسادًا ميئوسٌ منه في «جبل الكرمل» Mount Carmel، الرهبان والراهبات بعيدون عن الحقيقة ولا يبالون بحياة الدير والتزاماتها. لذلك فقد غادر الدير بوازع روحي لتبدأ في أديرة جديدة تعيش حياة صارمة وسامية. ومن المدهش أنها عندما واصلت سعيها ظهر والتف حولها الرهبان

المبتدئين في الحياة الروحية. فقد تواجدوا في أسوأ الظروف وتجرعوا المعاناة معها. لقد تشبعوا بكل خصـالها، وأصـبحت فـي النهايـة كـل المـدن الإسبانية عامرة بالروحانيين أتباع سانت «تريزا» كما لو كانوا أبناءها في الأصل. فمن الممكن أن يكون ما قاله الروحانيون الكيميائيون صحيحًا في تشبيهها بحجر الفلاسفة الذي يحول المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة من حوله. تلك القوة المنتجة من أعظم ما يميز الحياة الاتحادية. ومن خلال هؤلاء الروحانيين تفرض هذه القوة دخولًا للروحانية في النظام الدنيوي وتنتج أطفالًا يرثون الحيوية الهائلة التي تميزت بها حياة الاتحاد.

إن كل ما سبق هو مجرد مظاهر خارجية لحياة الاتحاد وتعبيرًا عنها زمانًا ومكانًا. لقد شددت على طرح هذا التعبير لأن هذا هو الجانب الذي تجاهله النقاد وأصدقاء الروحانيين دائمًا. فالقوة التي يعيشها الروحانيون في حياة الاتحاد داخل النظام الدنيوي، شديدة الارتباط بتلك الحياة السامية الخالدة، فترفع الروحانيين وتمدهم بتيار متدفق من الحيوية المذهلة. في دراسة العلاقة بين الروحانية والفلسفة وجدنا أن الشعور الروحاني، والعالم الروحاني بالطبع ذو شخصية ثنائية نادرًا ما تتناسب مع متطلبات «مبدأ الأحدية»

هذه الشخصية تقدم كل ما هو ديناميكي وستاتيكي، ما هو سامي وذاتي، وما هو خالد ودنيوي وزائل، فهي تستقبل ذلك العالم الخالد المتطهر وذلك المؤقت القائم على العقل فقط، إن ذلك دائمًا ما يتطلب استجابة مزدوجة. والآن قد نضج الروحاني ومر بكل مراحل التطهر ودخل في ميراثه الروحي فلا بد أن يعلم أن ذلك الميراث ليس مجرد: أ – إثمارًا روحيًا لقيم الحق والجمال والبقاء مع الزمرة السرمدية. أو ب – نشاطًا إبداعيًا بوازع من الحكمة الخالدة، ما زال منغمسًا في نهر الحياة؛ ولكنه يضم الاثنين معًا. إن القدر المزدوج للروحاني يكون «لتجسيد الخلود في الدنيا» incarnate the eternity in time(٥٨). بلغة أخرى: إنه مريض وقوي في نفس الوقت، فهو مريض كما يراه الله وقوي كما يراه العالم.

بشكل متعمق يمكن أن يقال عنه أنه يشارك – كما هو مقياسه– في الحياة الإلهية البشرية التي هي في الوسط ما بين الإنسان والخلود، ويقيم «إنقاذ العالم» . لذلك كل الأعمال البطولية التي يقوم بها قد تبدو لنا دليلًا على حالته الاتحادية ولكن إحساسه الداخلي بالبنوة الروحية هو ضمانة لحياة اللانهاية. ولدى الروحاني العديد من الوسائل لوصف هذه الحقيقة، وذلك الشعور الخاص بارتقائه والذي اعتمد على التواضع الكامل والخضوع.

أحيانًا يقول الروحاني بالرغم من جمال اللحظات التي كنت بها «الخادم المخلص في النظام الإلهي» ، وفي مرحلة الاستنارة كنت «الصديق الكتوم» ، إلا أن الاكثر جمالًا وغموضًا هو إدراك النهاية وأن تصبح «طفلًا مختبئًا» . يقول «رويسبرويك» : «كم هو عظيم ذلك الفرق بين الصديق الكتوم والطفل الخفي! ف

(58) Ibid ،p. 63.

«الصديق» يصنع الحب والحياة فقط ولكنه يقيس مدى الارتقاء تجاه الله. ولكن «الطفل» يتقدم ليفقد حياته عند القمة ببساطة شديدة لا تعرف «الأنا» وعندما نصل لهذه المرحلة فإننا نتوقف فنحن وكل أنانيتنا تفنى وتتلاشى في الله ونجد حياة جديدة داخلنا» .

وبالرغم من أن سيرة الروحانيين العظماء تعد شيئًا خارقًا، فهي تلك الحرب ضد الشرور والبلايا، إلا أن الحقيقة تتعمق بشكل آمن منحدرة على مرتفعات الإثمار الروحي التي ينقلها لنا الروحاني في صورة رموز متناقضة تبدو فارغة غير صحيحة. فهو يتحكم في الوجود لأنه يرتقي ويسمو وهو ابن لله الذي يفقد حياته عند العتمة في البساطة التي لا تعرف طبيعة نفسها ويصبح عضوا في النظام الأبدي، ويشارك في جوهر الحياة. «إن السكينة والهدوء بالنسبة لمبادئه وطبيعته: راحة مطلقة أبدية، وخصبٌ مطلق» (٥٩) فعندما نتجه في صعود ونسمو بأنفسنا ثم نتجه إلى الله ببساطه لدرجة أن الحب الأسمى يصبح كامنا فينا هنا نتوقف وتتوقف كل أنانيتنا وتموت في الله ونجد حياة جديدة بداخلنا، وبهذا الموت يصبح طفل الله الخفي « Hidden children of God» (٦٠)، ويقول رويسبرويك: إنها الخصلة المزدوجة للألوهية، وإن الطفل الخفي المشارك بالنظام الأبدي يشارك في تلك الشخصية المزدوجة في الجانب الحقيقي – «لأجل هذا الشرف قد وُجد الإنسان».

قد تصالحا جانبي الحقيقة «الاستاتيكي، والديناميكي» أخيرًا في الطبيعة الداخلية للروحاني لأنها أصبحت تشعر بكل أجزائها ووحدت جميع عناصرها. وعن تلك الرؤية التعذيبية الغريبة لذلك السلام الكامل تلاشى الذات في رضا وسعادة، ومحو جوانب هائلة من حياته الدنيوية؛ كل هذا يلازم الروحاني خلال رحلته. والتبرير الملائم لذلك هو تلك النشوة والسعادة التي يدركها عندما يجد نفسه الحقيقية بالرغم من أنه لم يدرك أنبل وأعظم الجوانب في ميراثه، فلم يجد بعد تعبيرًا مناسبًا عن هذه الحالة. وبالتالي فإن هذا الإدراك يكون مشوه وغير تام، في أوضاع كثيرًا قد اتخذ شكلًا مبالغًا فيه. وتُنكر أيضًا في صورة رموز غامضة استخدمت لوصف ذلك الإدراك. إن الاتجاه الروحاني الهندي لرؤية حياة الاتحاد في صورة غامضة كليًا، وانعدام كامل للذات، واختفاء في الله؛ ينبثق من مثل التشويه للحقيقة. فالروحاني الشرقي «يتقدم ليفقد حياته أثناء الارتقاء» ولا يعود لها أبدًا ليسرد لأصدقائه أخبار تلك الحياة الاتحادية. أما عن الانحرافات المتعددة لآراء الروحانيين الغربيين فقد أدت إلى تحقيق

---

(٥٩) بالرغم من أن العمل الخارجي للصوفي العظيم هو صناعة بشرية سامية لأنها صراع ضد الشر والرذيلة، فان حياته الحقيقية الداخلية تمتزج باطمئنان على قمة الاثار الروحي الكامل "Perfect fruition" والذي ينتج عن الرموز المتناقضة للجهل والخواء الروحي، فهو يسيطر على الوجود وكونه ابن الله وعضو النظام الابدي الخالد. المترجم.

Hilary Evans; Alternate States of Mystical Consciousness Unself; Other self; Greet Britain; 1889. P. 105.

(60) What is Enlightment. P. 640.

قاعـدة خاصــة وهــي أن «الشخصــية المزدوجــة للناشط الروحاني» قد أثبت فاعليتها وسموها.

إن «رويسبرويك» هو أكثر روحانيي الغرب روعة ووضوحًا في تعبيره عن الطبيعة المزدوجة للإنسان تجاه الحقيقة. فهو قلب رؤيته للحقيقة. في جميع كتبه نجده يكرر ويكرر التحدث عنها، بحماس وفرحة بلغة جوهرية من الركاكة والتفاهة الفلسـفية. لـذلك سـتكون هنـاك بعـض الفقـرات المقتبسـة مـن «رويسـبرويك» ، وإذا كانـت هنـاك بعض الصعوبة في فهمها فألتمس والمعذرة وذلك لأهمية دراسة القدرات الروحية للإنسان.

أولًا: رؤيته لله:

فيقـول: [إن الأشـخاص المؤلهـون His vision of God(٦١) الذين يشكلون إلهًا واحدًا، دائمًا ما ينشطون في طبيعتهم الخصبة وبفطرتهم الداخلية يكونون «ألوهية» وبركة دائمة. لذلك فإن الله بالنسبة للأشخاص هو عمل دائم، وبالنسبة للجوهر الصامت هو راحة أبدية. والآن يعيش الحب والاستمتاع بين النشاط والراحة. فالحب دائمًا ما يكون نشطًا لأن طبيعته هي العمل المستمر مع الله. أما الاستمتاع فهو دائمًا في راحة لأنه يتضمن كل الإرادة وكل الرغبة في عناق الأحباء في حب حقيقي صادق حيث يضم «الأب» ولده، يشمل أحبائه بمتعة الاتحاد مع روحه، فوق خصب الطبيعة. ويقول لكل روح محبة «أنت ملكي وأنا ملكك، أنا ملكك وأنت ملكًا لي، لأني قد اخترتك من بين كل الأبدية»].

«Thou are mine and I am thine; I am thine and thou art mine» .

تليها رؤيته لقدر النفس: «إن نشاطنا يتضمن حب الله، واستمتاعنا يتضمن حب الله واختراق حبه لنا. هناك فرق بين الحب والاستمتاع كما هو الفرق بين الله ونِعَمِه. عندما تتحد أنفسنا مع الله عن طريق الحب، نصبح نشطين: ولكن بعد أن نتحول ونلحق بروحه فإننا ندرك الاستمتاع: «فتزفرنا» (٦٢) روح الله لكي نحب ونفعل الخير، ثم تجذبنا مرة أخرى لنمكث في ظل الاستمتاع، وهذا وضع أبدي، كما هي حياتنا في شهيق وزفير دائم»

ويقول ثانيةً: «إذًا، فإن الله يأتينا بشكل مستمر، ويطلب منا كل من العمل والاستمتاع، حيث أن العمل لا يمنع الاستمتاع أبدًا وكذلك الاستمتاع لا يمنع العمل ولكن كل منهما يقوي الآخر. لذلك فإن الروحاني يعيش حياته تبعًا لهذين الطريقين الراحة والعمل.

وفي كل منهما يؤدي دوره على أكمل وجه فهو يتعمق في الله بفضل الاستمتاع والراحة وفي نفسه تمامًا بفضل ذلك الحب النشط. و «الله» خلال اتصالاته يناديه ويرغمه على تجديد كلًا من الراحة والعمل. ولأن الروح عادلة، فهي تسعى لأن تفعل ما يطلبه الله في كل لحظة، ولهذا السبب فإنها تنعم بالإشراق وبنور الله طول الوقت، تتحول الروح داخليًا على نحو نشط وممتع، وبهذا فإنها تجددت من جميع النواحي

(61) Ibid ،p. 65.

(٦٢) الكلمة من الزفير الذي يعني إخراج الهواء أثناء التنفس الذي يعني حركة الشهيق والزفير. المترجم.

كما أنها انغمست بعمق في الاستمتاع والراحة. . . إنها نشطة في كل أعمال الحب لأنها ترى راحتها. إنها حاجة زائدة لأنها ترى وطنها. لأجل الحب تحارب من أجل النصر لأنها ترى مُلكها. السلوى، والسلام، والسعادة، والجمال، والغنى، وكل ما هو مفرح يراه القلب مستنير في الله والروحانيات بلا حدود. وخلال رؤية كل هذا والتماس مع الله، يظل الحب نشطًا. لأن هذا الإنسان العادل قد بنى في روحه حياة – في الراحة وفي الحقيقة – سيتحملها للأبد، ولكنها ستتحول بعد هذه الحياة إلى حالة فائقة السمو، لذا فهذا الإنسان عادل، يتجه إلى الله عن طريق الحب الداخلي، فيعمل باستمرار؛ ويذوب ممتزجًا في الله عن طريق رغبته في الاستمتاع فينعم بالراحة الدائمة. ويتعمق في الله ولكنه يخرج متوجهًا لجميع الكائنات في حالة من الحب لجميع الأشياء، بفضل وعمل القوة الأخلاقية. وهذه هي القمة المثالية للحياة الداخلية [Supreme Summit Of The inner Life] (٦٣) .

قارن بين ذلك الوصف وحياة الروحانيين العظماء الذين «لم يؤذ لديهم العمل الاستمتاع ولم يؤذ الاستمتاع العمل» والذين تمكنوا من إجراء تسوية سرية وصلتهم إلى أن «يقضوا حياتهم بين الراحة والعمل» بدون أي ضرر للسعادة الداخلية أو للعمل الخارجي. عندما تقرأ كلمات «رويسبرويك» عليك أن تأخذ في الاعتبار أنه بذل جهدًا عظيمًا لتوضيح العلاقة بين روح الإنسان المبدعة وخالقها، فالخدمة الكهنوتية العظيمة في سانت كاترين بسيناء، نظمها اقتراب البلاء ليصيب الإصلاح البابوي وصحبه شعور داخلي ممتع برفقة المسيح.

تذكر الإنجاز والتواضع – والذي لا يقل أهمية وجمالًا – لصاحبة الاسم المستعار جينويز: الحياة النشطة التي عاشتها سانت فرانسيس، وسانت أغناطيوس، وسانت تريزا والتي أثقلتها الخدمات المستمرة، والتفاصيل المرهقة وسن القوانين وإقامة الأسس، وعدم إهمال أي جانب من أعمالهم من الممكن أن يقودهم للنجاح الفعلي ثم «التعمق الكلي في الله، فالوصول إلى مرحلة الاستمتاع» أليست كل هذه الامثلة الهائلة لتلك الحالة الاتحادية، التي تصل فيها النفس أخيرًا للشعور الكامل بإدراك الحقيقة لأنها أصبحت حقيقة تمامًا، كافية لسد دينها؟ فلما كانت غير قادرة على الاستقرار أبدًا في العمل ولا في الاستمتاع حينئذٍ أدركت ذلك التعبير المزدوج عن تلك الحياة الفياضة التي مستها وعلى جناحي الاشتياق والجهد طارت إلى وطنها.

وفى حالة الامتزاج تلك التي قادت الصوفي العظيم وجعلت من الظروف المؤدية إلى حياة الاتحاد حقيقة.

خلال دراسة سيرة الروحانيين يجب أن لا ننسى أن الحياة الاتحادية في جوهرها «تلبية وإذعان للحب» ، وإدراك «لما تمناه القلب HeartsDesire» (٦٤). وبدخول حياة الاتحاد، هناك حياة جديدة، وقوى مؤثرة جديدة، ومسئوليات

(63) Ibid ،p. 66.

(64) Ibid; p. 67.

جديدة تُمنح. هذا ليس كل شيء، فالنشاطات الثلاثة الأولى للنفس الطبيعية – الشعور، العقل، الإرادة – تبدو ممتزجة ولكنها ذات مفهوم أوسع. فهم في حالة اتحاد حقًا ولكن كل منهم يطلب ويستقبل ما يرضيه من إدراك «لذلك الشرف الذي وُجد الإنسان من أجله» .

فالعقل قد انغمس في الرؤية العظيمة للحق، والمعرفة الآن بـ «الوطن» ؛ حيث رأى سانت بول «القديس بولس» ما لا يمكن وصفه، ووجدت القديسة تريزا «الرفقة الأبدية للثالوث المبارك» ، ودانتي Dante الذي أدركها لبرهة أصاب فيها عقله ذلك الضوء الهائل الغير ملخوق (النور الإلهي) فعلم أنه قد حل التناقض الأخير للحقيقة: عندما اتحد «سرشيو» مع «إيماجو» الجانب الخالد والجانب الشخصي للإله.

أما الإرادة العظيمة فتعهد باهتمامات الروحاني فتستقبل أكوان جديدة لتغزوها، وقوى جديدة تتناسب مع قدرها العظيم، ولكن القلب هنا أيضًا يدخل في نظام جديد ويبدأ العيش في أسمى مستويات السعادة. «يقول الحب: هذه الروح تسبح في بحر السعادة لأنه في بحر السرور هناك تيار من التأثيرات الإلهية» . (٦٥)

هناك بعض الكلمات الكلاسيكية التي قيلت لـ «كمبيس Kempis» وهذه الكلمات تخبرنا بتلك السعادة والحرية الدائمة للقديسين. فقد «طاروا، وجروا، وفرحوا» هذه الأرواح العظيمة الكدودة دائمًا ما تفنى في التقشف وإماتة النفس فقد عهدوا بالمهام الصعبة والتي لا تنتهي. فهم «أحرار لا يغلهم شيء» وبالغرم من ظهورهم للعالم على أنهم مسجون بالتبرؤ من العبث وبقيود أخرى لأنهم محرومون الحرية الرخيصة المُساء استعمالها ويطلقون عليها حرية.

إن الاستمتاع بالسعادة والتي والذي تحدث عن رويسبرويك في كلمات جليلة على أنه إقامة الحياة الداخلية للأرواح التي انغمست في اللانهاية، وترجمة للرؤية الطوباوية السعيدة إلى حالة سامية من الشعور وغالبًا ما نعلمها من التجارب السرية للروحانيين على أنها امتلاك أبدي لسرور وخفة روح طفولية، وسعادة متعذر إخمادها في القلب. إن الروح المتحولة تصل إلى مرحلة «السعادة الراقصة» من روعة الحب دون أدنى اهتمام لأي شدة أو خطب خارجي. فيستمتعون بسمو الروح ويفاجئون العالم بنوع من اللعب الرقيق المناسب للحياة الروحانية بدلًا من عرض عبوس الاستسلام لليأس. لذلك كانت القديسة كاترين في سيناء – «بالرغم من المعاناة الدائمة» – كانت فرحة وخفيفة الروح، وعندما انبطحت مريضة كانت تفيض بالسعادة والمرح «وتضحك كثيرًا، في فرح وابتهاج بالله Was Full of Laughter of Lord exltonot and rejoicing» . (٦٦)

بالإضافة إلى أن أكثر الروحانيين وضوحًا قد صرح بأن تلك السعادة مضمرة بالحقيقة. وبذلك دخل دانت الجنة، فرأى الكون كله يضحك في بهجة كما يمجد الله، والسحنة المخيفة لذلك الحب الهائل تتزين بالسمات. ولذلك ترقص أرواح

(65) The mirror of simple souls; p. p. 161.

(66) Op. Cit. p. 68.

اللاهوتيين العظماء على نغمات الضحك في سعادة قصوى، والملائكة المُحبة في تلك الحالة المبهجة تدور بسرعة حول الكيان الإلهي. وتقول الروح الزائرة أن وصولها للكيان الإلهي، وإدراكها للحب والسعادة هما الخصائص النهائية للثالوث الإلهي. من ناحية أخرى يختلف «بيتراس Beatrice» مع الفكرة المؤمنة بالسلوك الملائم للروح من أجل التعليم والتهذيب، فالروح تضحك عندما ترتب معه المِرقاة للنجوم. لذلك فإن الروح المؤلهة تتقدم وترك البشرية «وتبعًا للاستمتاع تتعمق في الإله» وهو أيضًا مثل فرانسيس سيهرب، يسعد ويبتهج، يشارك في رقصة العالم حول الإله.

يقول «باتمور Patmore» : «لو رأينا أننا وثقنا بتلك التلميحات المحددة التي تضمنتها حياة القديسين، يرفح الحب الروح أسمى من العبادة والتبجيل في مجال السعادة والمداعبة، عندما تصل الروح إليه فإنها تقول: «هل تجرؤ البعوضة التي ترقص في نورك أن تكون مبجلة؟ Shall I a gnat which dance in the ray; dare to be revrent» . (٦٧)

وقد عبر «ريتشارد رول» عن «الروح المبتهجة» في إدراك وفراسة غريبة فيقول عن المحب الصادق «بين كل هذه البهجة التي يشعر بها في وهج الحب» ، إن رابطة المحبين سوف تدوم «، فهو يشعر بعزلة وخصوصية إلهية، لا يدركها إلا من استقبلها وعاشها وجرب ذلك الطلاء الذي يطلى ويجعل كل المحبين الفرحين سعداء في الله، لذلك يتسابقون إلى المقاعد الإلهية ليستمتعوا بخالقهم إلى ما لا نهاية. بهذه الوثيقة نجدهم توَّاقون للحياة الإلهية الخالدة وتتأجج السعادة بداخلهم في ذلك الإشراق والبهاء. هم أنفسهم يشعرون بسعادة ذلك الحب البهيج ويذوبون في أغنية فرحة رائعة الجمال. . .

ولكن هذه النعمة لا ينالها الجميع، فتعطى فقط للروح الطاهرة التي لُمس فيها ذلك التطهر، والتي يشرق بداخلها الحب، وأغاني الحب الأسمى، وإلهام المسيح، كل ذلك يتفجر بداخلها فتصبح كما لو كانت مزمارًا للحب – تتجلى في رؤية الله بشكل لا يوصف – يصدر أصواتًا مبهجة. وعندما تتعرف الروح على ذلك الحب الغامض، تصعد إليه في فرحة شديدة، وفي ذكاء حاد ومعرفة وشعور رقيق غير موجود في هذا العالم ولكنه مجتمع في الله، حيث تلجأ الروح إلى الله في إشراق وبضمير نقي تقربًا لمن قصدت حبه ووهبت نفسها له. من المؤكد أنه كلما كان الحب خالصًا للمحبوب كلما ازداد قربًا وازداد تجلِّي الله. وبذلك بفرح المحب بالقرب من الله وبذلك البهاء الذي يشعر به فتعتاد الاحباب الطرب والسرور دون مقارنة مع القلوب الرقيقة التي تعود إليها» .

إن حالة الحب المتأجج التي ذكرها رول هي حالة السرور والبهجة والغناء والمرح التي لم تستطع لغتنا الجافة التعبير عنها. فيقول بعض الأسرار من خلال نظمًا مبهجًا – من ذلك الفن الأصلي – تلك الأسرار لم تكن تلك الفترات

(67) Coventry patmore; The rod ،the root and the flowers ،Aurea Dicta ،Ibid; p. 69.

المحتشمة في الدين والفلسفة لتسمح له أبدًا بذكرها؛ هناك شيء آخر أيضًا، يعبر عن نوعية الحياة الداخلية والشباب الدائم التي يتمتع بها «الطفل الخفي» الذي يستمتع في ذلك النظام السامي، – فيعبر عنها في براءة وحرية وبدون تحفُظات –:

«كما لو كنت مزمارًا للحب يصدر أصواتًا مفرحة» ، فكل الموسيقى المحيطة بالحب تجعله جزءً من السيمفونية الإلهية العظيمة. ويقول رول ثانيةً أن «الأروع حقًا هو الراحة التي تأخذها الروح أثناء ما تصدر تلك الأصوات الرائعة التي تسعد بها ويفتتن العقل بالمرح والغناء الرائعين ويغني هو الآخر في الحب أغاني خالدة» .

وعندما ننظر لحياة الروحانيين، نجد أنها قد وصفت أدبيًا بشكل صحيح «أغاني الحب المبهج تتفجر» فنلمس ذلك في أنشطتهم البطولية الهائلة في الإصلاح الديني والاجتماعي والتعليم وأدوارهم القيادية. «ماذا يكون خادموا الله غير أنهم شعراء مداحون له؟» قال ذلك القديس فرانسيس الذي لم يرَ شيئًا مخالفًا بين الألحان السماوية والعلامات التي تركتها مسامير صلب المسيح، وأيضًا أغاني التوربادوريين «الشعراء الغنائيين» تماثل ناسك «هامبول» الذي تعلم في قفره، فليست رائعة فقط ولكنها مرحة أيضًا. فنجد أن الروحانيين كانوا في وطنهم لم يشعروا بأي خوف أو دهشة تجاه ما لا نجرؤ نحن التفكير فيه ونحفظه دائمًا في إطار من الهيبة والتقديس.

إن حياة القديس سانت فرانسيس – الذي تألهت روحه، والذي «أحب طائر القنبرة Lark الصغير تحديدًا أكثر من كل الطيور» – كانت مارشًا موسيقيًا طويلًا عبر العالم. ويبدو أن الغناء بالنسبة له كان وظيفة روحانية من الدرجة الأولى، فعلَّم إخوانه من الرهبان أن يحثوا الناس على ذلك في وعظهم. كما بدا له من الملائم جدًا استخدام اللغة الرومانسية الرقيقة «التوربادورية Troubadours(٦٨)» في وصف ذلك الحب المثالي الذي عرف يه. «بعدما أسكره حب وحنان المسيح، قام سانت فرانسيس بمثل هذه الأعمال. ظهرت أروع سيمفونيات التأجج الروحي داخله باللغة الفرنسية، ثم تلاها ذلك الهمس الذي سمعه سرًا بأذنيه فكان بالفرنسية أيضًا مثل الفرح والرمح الصاخب. وأحيانًا قد التقط فرعًا من الارض ووضعه على ذراعه الأيسر ويمسك في يده اليمنى عصا أخرى مثل القوس فوقه مثل الكمان أو أي آلة أخرى ويصنع حركات موافقة ويغني معها بالفرنسية متقربًا من الله» .

وبالتالي فقد تجلت الحبور، والحرية واليقين، والسعادة – التي اختصت بهم حياة الاتحاد – في الأهازيج الفرنسية التي أطربت لها جميع الآذان، أما الأغرب الذي لا يصدقه عقل هو أنها تصدر من أناس تبدو أحوالهم الخارجية غير ملائمة إطلاقًا. فنجد سانت جون كتب أغاني الحب لمحبوبته، وسانت روز غنت بشكل ثنائي مع الطيور، وسانت تريزا بالرغم من الحياة الصارمة والفقر الذي عاشته في البداية فلم تترفع عن الترانيم البسيطة والأغاني المرحة لتستخدمها

(68) E. Underhill; The unitivel Life; See What is Enlightment ،p. 70.

بناتها باللهجة القشتالية القديمة. وكانت مثل سانت فرانسيس تتملكها مهابة الخشوع. فقد اعتقد مجددوا الكنيسة أن ذلك ملائم للمنافقين فقط. فقد اتخذت حياة الصلاة والعقاب على جبل كارمل بروح مرحة تشدو بالعديد من الأغاني. فأسرع المصلح العظيم بانتهار الراهبة المتزمتة التي «تظن أنه من الأفضل أن تتأمل بدلًا من أن تغني» ، فقد استمعت لنفسها، عندما كانت تكنس طرقة الدير، تغني أغنية قصيرة عن أمجد خبراتها الروحانية: ذلك التحول الذي لا يوصف، والذي من خلاله قد اخترق – السيف الناري للملائكة – قلبها.

أما الشيء الاكثر صدقًا وجمالًا وإنسانية وقربًا من خلال كل ما سبق من وصف لسعادة الروح وحياة الاتحاد هو الإلهام الفطري البسيط للقديسة كاترين أوفجينو والتي أمدتنا حياتها – بجميع جوانبها – بأحد أعظم المقاييس التي نقيس عليها النسب الصحيحة للحياة الروحانية. وهنا ندرك جوهر حياة الاتحاد من خلال أحد من عاشوها في مستويات بطولية، في النشاط وفي الراحة، وفي العمل ليس فقط ذلك النشاط العظيم، وتلك السعادة البالغة التي عاشتها، ولكن الروحاني هو الاكثر تعمقًا في أسرار الحب الخالد الذي يتضمنه تاريخ الروحانية المسيحية. ولكن حتى الآن لا توجد عبارة واحدة في أعمال الروحانيين الآخرين تنتهي بشكل مفزع ومفاجئ مثل التي ذكرتها سانت كاترين في بساطة وجرأة رأي زملائها من خلالها طبيعة ذلك الطريق الشاق الذي وطئته والمكان الذي وصلت إليه.

فتقول في أحد محادثاتها – عندما تحدث الخبرة الشخصية –: «عندما ينادي الحب الإلهي الخالد الروح من العالم، يجدها مليئة بالعيوب والخطايا. فيقوم أولًا بإعطائها الفضيلة الغريزية، ثم يحثها على الكمال ثم يقودها إلى التطهر عن طريق التلقين، وأخيرًا يقودها لذلك التغير الحقيقي. وهذا الترتيب الأحق بالذكر يفيد في قيادة الله للروح على مدى الطريق. ولكن بعد أن تتطهر الروح وتتحول فإنها لا تعمل ولا تتكلم ولا تريد لنفسها أبدًا. فهي لا تملك ذلك الشعور بما هو داخلي وخارجي لتتحرك بينهما. فالله يحكم جميع الأشياء ويحميها بدون أي وساطة من أي مخلوق. أما الحالة التي وصلت إليها الروح فهي شعور بالسلام التام والسكينة، فترى أن القلب والجسد وكل أجزائها الداخلية والخارجية قد انغمست في بحر من السلام العظيم لن تعود منها ثانية من أجل شيء ألمَّ بها في هذه الحياة.

فتبقى ثابتة رصينة لا مبالية. حتى أن بشريتها وطبيعتها الروحية خارجيًا وداخليًا، لا تشعر خلالهما بأي شيء سوى ذلك السلام الغامر. فهي عامرة بالسلام حتى أنها عندما تضغط على الجسد، الأعصاب، حتى العظام لا ينتج شيئًا غير السلام، ثم تغني طوال اليوم مرحًا، بعض القوافي التي جمعتها بأسلوبها.

Vuoi tu che mostr'io presto che cose e Dio?(٦٩)

«تغني طوال اليوم مرحًا. . .» حكايات الأطفال المُغناة، كما تسمى غالبًا، فهي طفولية

(69) Ibid; p. 72.

بسيطة النظم. من يستطيع أن يشكك في أن يكون ذلك هو السلوك الخفي للاتصال بين روح كاثرين السامية بحبها؟ كم عدد هؤلاء الذين رأوا تلك المرأة العظيمة التي تكد في إدارة دار المعالجة – وسمعوا ذلك المعلم المتعمق الأفلاطوني المسيحي(٧٠) Christian Platonist يعلم تلاميذها، ويعلن القانون العام للحب البطولي Heroic Love – كم عدد الكهنة التي بدت لهم خارقة للطبيعة، خطبًا مهيبًا مباركًا ذو اتجاه مقدس، فقد اتجهت للعمل بقلب مشغول بالخلود لا بالتأملات المترفعة، وانهمار الروحانيات البحتة، لمنها «تغني طوال اليوم في مرح» في جو من السعادة الطفولية، الأغاني القصيرة المبهجة عن حبها؟

عن بلوغ أدنى درجة في المرقاة الروحية والتي يمكن أن تصل إليها الأرواح البشرية في هذا الكون الزماني والمكاني، وبالنظر إلى نظام الكيمياء الداخلية البطيء – «الجدير بالذكر» – للتحول العضوي والذي عن طريقه تطهرت النفس من كل الذنوب وارتقت إلى درجات أعلى، وتستسلم أخيرًا للحياة التي اكتنفتها وأقبلت عليها، حياة الحقيقة: هذا هو حكم سانت كاترين المتأنِ على الجوانب النسبية والمطلقة في الحياة الروحانية. « النظام الأحق بالذكر» الذي تتبعناه، والتطور والنمو الروحي وإعادة ترتب الشخصية، والرؤى والسعادة الغامرة والآلام الحادة، كل ذلك يفيد في قيادة الروح على طول الطريق » .

في إعادة التقييم بشكل كلي للقيم التي ظهرت عندما وطيء ذلك الطريق أخيرًا، تصبح الأحداث الخارقة تافهة وغير ذات أهمية. بالنسبة لنا عندما ننظر بتفكر في هذا الطريق إلى الحقيقة، نجدهم يبرزون مثل الشواخص العالية التي من الممكن استخدامها في توضيح اتجاه المنزل للزائر. لا يمكن المغالاة في تقدير أهميتهم لمن سيدرسون ذلك الطريق. ولكن الروحاني يكون آمنًا في ذلك الهدوء الذي يفقد فيه المحبون أنفسهم – «وجنته في الله الذي أتى لمجيئه» – فيتذكرهم لا أكثر. في وسط العمل والنشاط، والإبداع الروحي المستمر، يغمره السلام والمرح والسعادة. فهو لا يحتاج إلى بديهة حادة حاضرة الآن لأنه قد تعمق في «أكمل أشكال التأمل» الذي «يتضمن اتصالًا بسيطًا ومفهومًا بين الروح والإله» .

أكملت عجلة الحياة دورتها. هنا وفي المرحلة الاخيرة من دورانها تتقابل غايتي البساطة والسمو. حيث تطهرت الروح عبر فترات تناوب فيها السمو والمجد مع الضغوط، متجهين دائمًا إلى سمو أعظم، وحرية أعظم، وقربًا أشد بـ «خالق الحياة الحقيقية». فيخرج الصوفي من تلك الرحلة ليجد نفسه بين الراحة والعمل، طفلًا صغيرًا في أحضان وقلب الأب. خلال هذه العلاقة العزيزة تحصل المشاعروالإرادة والتفكير على أهدافهم ويصلون إلى غايتهم. وهنا، نتجاوز جميع التعقيدات المُكدرة في الذات المنعزلة. لم يعد هناك حاجة إل كد وعناء المشتاق أو إلى الرؤية الحادة. وبذلك الوصال الغامض للأنا

(70) Ibid; p. 72.

تصل الروح إلى القمة التي هي الوسيط لحياة الخلود، فتتقابل القمم بالأعماق: فيكون الإنجاز الأسمى والتواضع والخضوع التام شيئًا واحدًا.

في لمحة قصيرة أخيرة، هناك ومضة تغلب على عقولنا عمومًا مثل سرعة فهم دانتي Dante للحقيقة التي تخص روحه الشجاعة السامية، فنجد الروح المنتصرة قد أخرجت أمامنا أجمل ما يمكن أن يقدمه الكون، فخضعت وجردت نفسها من وسامات الحكمة والقوة. وبتحقيق الإنجاز الأسمى، تأخذ أدنى الأماكن. وبدخولها في أفق الخلود، واتحادها مع الله المطلق، وشعورها أخيرًا بحياتها الهادفة، تصبح الروح الطاهرة طفلًا صغيرًا في قلب الله. وهكذا هي مملكة السماء Kingdom of Heaven(٧١).

يقول بوجي آمريت ديساي في «الحب مثل الشمس» :

لقد مُت معدنًا وأصبحت نباتًا.

مت حيوانًا فأصحبت إنسانًا.

فلماذا أخاف إذًا، عندما اكون أدنى من الموت؟

ولكني سأموت مرة ثانية كإنسان، وأحلق مع الملائكة المباركة

ولكن لا بد أن أموت حتى في الملائكية فكل يهلك إلا الله.

وعندما أفقد روحي الملائكية

سأصبح ما لا يتصوره عقل

آه، دعوني لا أتواجد! لأن اللاوجود يعلن:

«إلى الله سوف نعود(٧٢)»

ويقول جلال الدين الرومي: «شاعر فارسي في القرن الثاني عشر»

الألم يتواجد فقط مع المقاومة.

السعادة تتواجد فقط مع استقبالها.

المواقف المؤلمة عندما تستقبلها برغبة تصبح مفرحة.

المواقف المفرحة عندما تقاومها تصبح مؤلمة.

لا يوجد شيئًا يدعى تجربة أليمة.

فالتجارب الأليمة ببساطة هي نتاج مقاومتك لها.

التطور الطبيعي للوعي البشرى

Human All Too Human And Beyond
Dane Rudyar

التطور الطبيعي البشرى العادي ، التطور البشرى الأقصى للجميع " وما هو ابعد من ذلك

بالطبع لا تقتصر الاستنارة على كل ما هو سيكولوجي فقط ، وإنما يصاحبها دائماً نوع من التحول الفيزيقي والمادي (العضوي) داخل الإنسان ، لذا فهي بكل تأكيد تتضمن مجموعة

(71) Ibid; p. 73.

(٧٢) هذه الأبيات تشير بوضوح إلى النظرية البوذية في تناسخ الأرواح أو انتقال الأرواح الباقية في الأجساد البالية، وكذلك ما جاء في الفلسفة الطبيعية عند إبنادوقليس الذي تحدث عن تردد روحه في عد من الكائنات. المترجم.

راجع:

Christmas Humphrey; Exploring Buddhism; London; 1974; p. p. 80 – 81.

تبين قصيدة ديساي نوعًا من الحياة الأبدية عبر دوران التناسخ في التراث الهندوسي والبوذي حيث تنتقل الروح الباقية في الأجساد البالية، بينما تدعو قصيدة جلال الدين الرومي إلى التسامح وعدم مقاومة المواقف المفروضة علينا. المترجم.

مـن التغيـرات فـي الغـدد الصـماء والعمليـات المرتبطة بكيمياء الدم تماما كما أوضح (جوبي كريشنا) ، وهذا ما أظهرته بعض التقاليد الدينية الروحانية ، وما يكتنفها من غموض وأسرار أن المراحل المتطورة من عملية الاستنارة تتضمن تحولات وتغيرات في المكونات العضوية الفعلية داخل جسم الإنسان ولهذا يعتمد وعى الإنسان في نمـوه واسـتنارته علـى مـوا٧٣د عضـوية دقيقـة التركيـب أكثـر مـن اعتمـاده علـى النمـو والزيـادة الجسمية ، هذا وقد أشار سرى أوربيندو (Sri Aurbindo) إلـى اليـوجى ، الشـخص الـذي يمـارس اليوجـا ، يبـدأ فـي إعـادة تنظـيم بنيتـه التركيبيـة علـى المسـتوى الجزيئـي داخـل الخلايـا وذلك في أثناء المراحل الأولى من ممارسة اليوجا خاصـة بعد أن يحدث التوحد بين الجسد وبين العقل الأسمى (الأعلى) (١)

أو بمعنـى أخرى ، إذا تخلينـا حدوث ارتقاء وتطـور لكافـة أفـراد الجـنس البشرى حتـى مـا أن وصلوا إلى المكانة التي وصل إليها يسوع أو بوذا ، فهـذا يمكـن أن يـأتي يـوم يتوقـف فيـه تطـور الجـنس البشـرى كافـة ؟ الإجابـة بـالقطع : لا ، فهنـاك أمثلـة لحـالات أخرى مـن الترقـي والتحـول البشرى قد تصل لأبعد من تلك المكانـة ، لذا فان الوصـول إلـى مرتبـة النورانيـة هـو اد المعـاني المباشرة التي يمكن أن تتضمنها كلمه الاستنارة.

وقد اخذ " دان روديـار" – وهـو احـد الآبـاء الروحيون في زماننا هذا – يبحث في المتغيرات التي تؤثر على عملية الكشف والإجلاء الروحاني لمدة دامت لأكثرمن ٧٠ عاماً ، وهو يكتب في هذا الصـدد باعتباره علـم نفسـي يخـتص بكـل مـا يتعلق بالسحر والغموض وما لدية من معلومات خاصـة بمراحـل الاسـتنارة فيمـا وراء التصـوف " العـادي " وهـو مـا أطلـق عليـة اصـطلاحا اسـم البليرومـــا " أو (pleroma) أى " مـــا وراء الشخصـنة" الـذي اتخـذه عنوانـاً لأحـد مؤلفاتـه وتكشـف لنـا البلرومـا (pleroma) عـن حالـة ابعد وأعمق من الحالتين المتعارف عليهما في توصـيف نيتشـة (Nietzche) الخـاص بـالترقي والتطـور البشـرى الحـالي وهمـا " حالـة الترقـي البشـرى العـادي ، وحالـة الترقـي القصـوى التـي يمكن أن يبلغها الجميع " وتشير الحالة الثانية إلى الترقي الذي يمكن أن يتوقف عنده الجنس البشرى حيـث ينصـرف انتبـاه الإنسـان فـي تلـك الحالـة الثانيـة ، عـن إشبـاع الحاجـات والبواعـث الحيويـة والبيولوجية (العضوية) من تنفس وطعام وجنس ،، والـى مـا غيـر ذلـك حتـى يصـبح الشـعور " بوجود الذات " أمرا ثانوياً " وبالفعل يحدث ذلك لأن هذا الجسد المادي المتحول يتكون أيضا من صفات معنوية (اثيرية) فها هو الطعام يتحول من صورة معنوية إلى مادية ، فهذا الطعام الذي نتناولـه نحصـل علية مباشرة من الطبيعة بعد أن يسير في مسارات ومصادر الطاقة المختلفة ، أما

(٧٣)- اشـار الـدكتور إبـراهيم ياسـين إلـى وجـود علاقـة وثيقـة بـين الاسـتنارة ومـا يصـاحبها مـن نشـأة ملكـات الادراك الفائقـة او الجاسـة الكونيـة ومـا يحـدث مـن تغيـرات فسـيولوجية وسـيكلوجية راجـع المـدخل الـى التصـــوف الفلســـفى الســـيكوميتافيزيقى الحاســـة الكونية،ص١٠٩:٨٥

في مرحلة البليروما غالبا ما تغيب عن أعيننا كثير من التفاصيل تمام كما يحدث في حالة الإشراق أو الثيوسوفيا حيث تتضح لنا كافة التفاصيل بمرور الوقت ، ومن أهم الأشياء التي ينبغي ذكرها في هذا الصدد أن مرحة البليروما (pleroma) تتضمن قدرة تنموية نمتلكها جميعاً كما انه يمكن الاعتماد عليها لتوليد العلاقة بين البشر وبين الله .

وعندما نحاول تفسير أشكال الوعي المختلفة التي تتخطى المستوى الطبيعي بغض النظر عن طبيعة المجتمع أو حتى الزمن سوف تنتابنا حالة من الارتباك والتناقض وعدم الفهم بسبب الفشل في ضبط حدود العلاقة بين حالات الوعي المختلة وبين أنماط الشخصية الإنسانية في ضوء المحددات الثقافية المفترضة .

جميع الحالات التي تخطت مستوى الوعي تنتمي إلى إحدى الحالتين السابقتين حتى وإن كانت ظاهريا وسطحياً تبدو متشابه ، وإذا أجيز لنا أن نستخدم الصيغة الرمزية في التعبير عن تلك الحالات من الوعي ربما استخدمنها رمزية (الإثماروالأزهار) عند النباتات أي أننا كي نفسر حالات الوعي هذه ، فإننا سوف نفسرها في ضوء إزهار وإثمار الثقافة وإنتاجها لنخبة من الأشخاص المتميزين في فكرهم عن الآخرين.

ويمكن النظر إلى حالات الوعي هذه من خلال صورة رمزية أخرى هي النمو المبكر للدرنيات الذي يكاد يتزامن نموها مع الموت البطئ للنباتات الحولية (وهى ترمز إلى الثقافة)

إن أي بذرة من البذور التي تتكون في ثمار النبات قد لا ترتبط بالضرورة بخصائص وسمات هذا النبات بوجه خاص وإنما ترتبط بسمات وخصائص الفصيلة النباتية التي تنتمي إليها بوجه عام ويرمز النبات هنا (الثقافة) وتمثل الأشخاص (جذور) هذه النبات أي أن سمات الأشخاص تتحدد وتتشكل في ضوء الثقافة المجتمعية لكنها في الوقت ذاته قد لا ترتبط وتتقيد بها بالضرورة ، لذا تتحد سمات الشخصية ومصيرها غالبا عندما يتخلى الإنسان عن عموميات ثقافته أو حينما يحدث نوع من الانفصال وعدم الاتصال الوجداني بينه وبين ثقافة الأصلية ، هذه الأخيرة (الثقافة) في هذه الحالة هي تماماً كالنبات الذي استمر نموه بعد أن تخطى مرحلة الإزهار الخاصة بالجني الجمعي للأزهار ، فنراه في حالة من الانحلال والذبول أو في أحيان أخرى نراه قد تصلب من شدة الجفاف ، ومن ثم تكون مرجعية ومرد هذه البذرة (أى الشخص) إلى عموميات الثقافة البشرية جمعاء وليس إلى ثقافته الخاصة (المحلية) لأنه من المفترض أن تؤدى الشخصية الإنسانية النمطية ومصيرها دوراً فاعلاً في عملية التحول والتغيير الذي يتم على كوكب الأرض ، وبناء على ذلك يمكن اعتبار الإنسان انه صانعاً لثقافة قائمة بل وشاهد عيان عليها من ناحية ، كما يمكن اعتباره ، من ناحية أخرى ، سلفاً لنمط جديد من أنماط الثقافة فقط من الناحيتين العقلانية والمعنوية .

هذه الصورة الرمزية قد أوضحت الكثير من وجهات النظر الهامة في هذا الصدد ، ومن ثم لا ينبغي أبدا النظر إلى تلك الرمزية من زاوية ضيقة نظراً لتجاهلها للعديد من العناصر الأخرى ، نعم قامت تلك الرمزية بنوع من الفصل والتمييز بين الصوفية من جهة وبين عالم الأسرار وما يكتنفه من غموض من جهة أخرى.

وفى حين رفض الثقافة الأوروبية الأمريكية الغربية لهذا النوع من التمايز كان هناك شئ من التقارب والتفاهم من قبل الفلاسفة الأسيويين المتدينين لهذا التمييز ، لقد حدث هذا التقارب ، لعدة أسباب بالرغم من الغموض الذي كان يشوبه ، خاصة عند تعامل الأسيويين مع الغربيين أو حتى بالنسبة لطلابهم الذين أرسلوا في بعثات إلى الغرب ، وبما أن الفلاسفة والمبدعين وكبار رجال الدولة هم وحدهم من يصنعوا مصير شعوبهم فمن المفترض أنهم سوف يعملون على تحويل وتغيير كافة الأفكار الرجعية وتصحيح كل الافتراضات الثقافية والاجتماعية ولو في محيط مجتمع فقط كجزء من البشرية .

تواجه العقلية الغربية العديد من الصعوبات التي تعوق مسألة تفهمها الجيد لطبيعة هذا التمييز والتفريق خاصة بعد أن تم التقليل من شأن مصطلح (المستنيرين) ، إن الاستنارية الحقة لا تمتلك شئ حيال ما يعرف ب " القوى السحرية " والخبرات النفسية ، وربما ، في بعض الأحوال ، تكون تلك القوى والخبرات مصدراً قوياً لحقائق بالغة الدقة ، إن(المستنير) ما هو إلا فرد ينشد التغيير ويسعى إلى التأثير في التحولات الصعبة والخطيرة من خلال اعتماده على مستويين اساسسين من الحقائق ، أولهما : المستوى البشرى أو ما نطلق علية اليوم اسم " المستوى الفيزيقى " المادي الذي يعتمد على إدراكنا للأشياء المادية من حولنا كما انه يعتمد أيضا على منظومة عمل الأجهزة العضوية الحيوية في جسم الإنسان ، أما المستوى الثاني فهو " المستوى الكوكبي" أو المستوى الذي يفوق الإمكانات البشرية ، هذا المستوى لا يقتصر على الوحي فحسب وإنما يمتد ليشمل الأنشطة " الشعور والإرادة (٧٤)

اللاوعي الديني (المقدس)

the sacred unconxcious huston smith

هوستون سميث:

صاغ " هوستون سميث " مصطلح (اللاوعي الديني) ليعبر عن الطبقة السفلى من

---

(٧٤)عندما يتحدث الغزالى عن تجربتة النورانيه او تجربة الكشف النورانى يرى أن البصيرة الكاشفة تنمو فى رعاية العقل وفى ظلة ومن هنا حمل الكشف النورانى سمات العقل وحمل العقل سمات الكشف – ذلك حملت المعرفة الالهاميةسمات المعرفة العقلية، والقلب عند ابو حامد الغزالى حوض تصب فية انهار المعرفة من مصادر خارجية بها الحواس والعقل معا – كما أن هناك نوع من المعرفة ينبع من باطن الحوض أو الباطن الروحى للانسان الذى يستمد معرفتة من نور الأنوار " الله" فلا غنى للعقل عن القلب ولاغنى للقلب عن العقل فهما مصدر ان متلازمان للمعرفة النورانية

راجع أبو حامد الغزالى ، معارج القدس ، ص ٦٤

راجع أيضا أبو حامد الغزالى ، مشكاة الأنوار ، دار التب العلمية ، بيروت ١٩٩٤م ص.ص ٣ ،٣٦

الوعي الإنساني ، لو تركنا الطبقات السطحية لحقيقة النفس ، في اللاوعي الفردي والجماعي ، خلال التركيب المتداخل واللاوعي المتجمع ، وفى تلك الحالة الإلهية للنفس التي نجد فيها أنفسنا في النهاية ، يسأل سميث ماذا سنكتشف ؟ وماذا سيصبح الإنسان بدون اللاوعي الديني المقدس ؟ كانت أجابته وصفاً للإدراك الإنساني للنفس "

جيفانموكتا Javanmukta

وهذا الاختيار هو دراسة مختصرة للحالة النفسية للذات المستنيرة تماماً ، أما الاختيار الثاني ل " روجر والش " roger walsh(الصحة العقلية الاستثنائية exceptional mentol health) يمكن قراءته كنوع من الامتداد أو الإسهاب لدراسة سميث smith النفسية للشخص المتحرر روحياً ، والاختياران يدوران حول النقطة الأساسية (أن الحالات المتغيرة للوعي ، الشعور ، تؤدى إلى الخصائص المتغيرة للوعي ، فكلما اتسع وعيك كلما تعمقت النفس ، وفى فهم حياتك ، في قيمك ، وفى إحساسك بتبدل العلاقات وبالتالي تعمقت في السلوك ، وكثيراً ما تطلب أن تعيش حياة سليمة تميل إلى الصدق والحب .

وفى محاضرة عامة ، قد وصف سميث تحقيق الذات في الإنسان على الطريقة الزَّنيَّة .(٧٥)

يقول سميث إن النفس المستنيرة تكون دائمة الامتنان لمن ذهبوا من قبل ، ودائمة الرحمة بمن هم أحياء ، ودائما مسئولة عن من هم قادمون ، تلك هي رسالة عظيمة في كلمات قليلة وأساس الدراسة والتجربة على مدى الحياة .

خلال المليون سنة القادمة " احد الكتب التي نشرت عن القرن الذي عاش فيه دارون 'darwn' في هذا الكتاب يحتوى كما يقول charls galton حفيده تاشرلز جالتون دارون بعض البحث عن هندسة الجينات وبصفته متخصص في علم الوراثة ، فقد انتهى إلى أن الصعوبات هائلة إلا انه من الممكن حلها ولكنه يرى أن الشيء الذي لا يمكن حله هو توجيه تلك الهندسة الوراثية لإنتاج ذلك النوع الذي نرغبه من البشر ، كان كل من نيتشه nietzche، وفان غوخ van gogh عباقرة ولكنهما اضطربا عقلياً ، فهل نحتاج جيناتهم في بنك الجينات ؟ انه سؤال هام ، فهو يطلعنا على فكرة الكتاب الرئيسية والتي تحاول تعريف أقصى درجات الخير الأسمى بالنسبة للإنسان . م (٧٦)

وبصفتي فيلسوف ومؤرخ ديني ، دعوى أوضح مفهومي عن ذلك " الكمال والخير الأقصى " كالأتي لكي يكشف كل من ماركس ، وفرويد عن اللاوعي الاجتماعي ، واللاوعي

---

(٧٥) الزَّنيَّة : معتقد بوذى يؤمن بقدرة المرء أن ينفذ الى المعرفة النورانية وتحقيق استنارة مفاجئة كخطوه على الطريق الى الاستنارة الكاملة بعد تحقيق الانضباط الروحى

راجع جون كولر ، الفكر الشرقى القديم ، ترجمة كامل يوسف حسين سلسلة عالم المعرفة العدد ١٩٩ ، الكويت ، ١٩٩٥ ، ص ٣١٦

(76) Huston smith, The Sacred Consciousness What is Enlightment p. 75

الشخصـي لـدينا ، تعمـق كـل منهمـا فـي البنيـة الداخليـة والخارجيـة التـي تكمـن بهـا الأسـباب ، والـدوافع الحقيقـة ، وهنـا تكمـن الفرصـة الذهبيـة للإنسـان ليتعرف علـى " اللاوعـي الـديني " الـذي يمثل أصل شخصياتنا

لـن أتعمق فـي أسباب افتراض وجود ذلك " اللاوعـي الـديني " فقد ناقشت بعضـها فـي كتابي (الحقيقـة المنسـية : التعـاليم الأصـلية) حيـث استخدمت كلمه " الروح " للتعبير عن ما اسميته هنا " اللاوعي الديني) ولن ارسم خريطة للوعي الإنساني حتى أبين العلاقة بين مستويات العميقة ومستوياته السطحية القريبة حيث حاولت ذلك في فصل " مستويات الشخصية " في نفس الكتاب ، ولكـن سـأحاول تخمـين مـا ستشـبهه حياتنـا ، إذا رأينـا ذلك اللاوعـي بشكل مباشر ، مـاذا سيصـبح ذلك الإنسان الفائق الإدراك ؟ – فالمتخيل هنا انه علـى وعـى باللاوعي الديني لديه ، كيف سينظر هذا الكائن للآخرين من حوله ويشعر بنفسه ؟

مـن الأسـهل أن نوضـح الصـفات المخالفـة لهـذا الإنسان عن أن نوضح صفاته شخصياً ، كما في النظرية الفنية " الخلل التراجيدي " لا يستطيع أي كاتب مجرد الحلم بكتابة شخصية البطل مثالية تمامـاً ، الكاتـب نفسـه سيشـعر بـان هـذا البطـل مجرد خيال مصطنع ، ولكن عندما يقدم الكاتب شخصية قوية ذات خلال ترادجيدى – اقرب مثال لـذلك تـردد هاملـت Hamlet، نجـد أن خيـال القارئ يصحح هذا الخلل عن اقتناع لأننا يخلع الصـفة الناقصـة علـى الشخصـية التـي أدى هـذا النقص إلى مصداقيتها .

نلجـأ لـنفس المبـدأ عنـدما نحـاول وصـف الكمـال الإنسـاني لـيس بشـكل واقعـي كمـا فعـل الكاتـب ولكـن بشـكل نظـري ، فـنحن علـى ارض ثابتـة عنـدما نصـفه بشـكل عكسـي ، ولنستشـهد بمثال تاريخي ، تشخيص بوذا للاستنارة على أنها غياب للكراهية والطمع والجهل تسحب قواها من كونهـا حالـة جامـده فـي حيـاة الحقيقـة ، وتشـير المصـطلحات الاساسـية إلـى خصـال نعـيش بهـا طـول الوقت ، ولكـن إذا حاولنـا أن نصـفه بشـكل قطعـي وقلنـا " أن تكـون مسـتنيرا " هـو أن تكـون ذاخراً بالحب والحكمة ، وإن تكون في رضا دائم بجميـع الأمور(السراء والضـراء) يصـبح وصـفنا نظريـاً خالصـا ،فـي الحقيقـة ، ومـن الواضـح ان لـدينا بعض المعرفـة بهـذه الفضـائل لكـن المعرفـة وحـدها لا تكفـى او تكـون هـدفا وحـدها ، لكـن الهدف ان نمارس تلك الفضائل فنمتلأ بها تماما عندما ترتقى وتصبح فى اقصى صورها ، فنفعلها بدون أقوال.

والآن أمامنـا توضـيحين حكيمـين : توضـيح دارون بأننـا لا نعـرف مـا هـو الخيـر الاسـمي ، وتوضـيح بـوذا بأننـا نجتهـد حتـى ندركـه بشـكل عكسـي ، إذا أخـذت بتخمينـاتي عـن الـروح فـي الكتاب ككل ، اقترح أن تلقى هذه التحذيرات مع الـريح وإن تحـاول تكـوين تصـور حقيقـة " جيفانموكتا" jivanmukta كما يطلق الهنود على الشخص الحقيقة المثال ال " جيفا " ولمقصود بها

الروح ، والتي " موكتى " والمقصود بأنها تحررت واستنارت "liberated enlightened (٧٧)

وبوركت في هذه الحياة ، الخطة لابد أنا تفشل بالطبع ، ولكن ذلك لا ينفى أنها ممتعة ، من الجائز أن الأخذ بنظرية " الخلل الترجيديى " التي أشارت إليه ، وفشلها المؤكد يمكن أن يدفع القارئ ليقلب في خيالة تلك الصورة التي لا يمكن ان تعبر عنها الكلمات .

اعتقد أن الكيان المستنير هو الذي يكون على صلة باللاوعي الاعمق الباطن لدية ، هذا اللاوعى يستحق أن نعتبره ديناً مقدساً ، لقد عرفنا خلال قرننا هذا أن هناك بعض المناطق في عقولنا والتي كانت حفيه علينا وتتحكم في الإدراك والشعور لدينا ، أما موضوعي فهو أن تواجد تلك الطبقات القريبة في عقولنا الباطنه " اللاواعية " هي الطبقات السفلى الأخيرة التي تنفتح إلهيا على العالم الحقيقي ، لكي تقترب من تلك الطبقات يجب أن تكون بكل ما تحمل الكلمة من معاني وإن تكون لديك الفضائل والفوائد التي تتماشى وتدعم تلك الُموضوعية .

بالطبع لسنا على صلة بذلك العامل الُموضوعى لأنفسنا ، والذي هو يشكل متناقض يمثل عمق العوامل الذاتية لدينا ، لأن الطبقات المتخللة في الوسط ، في اللاوعي لدينا ، تحجبه عنا ، وفى نفس الوقت تحجب كل العالم ، فاهتماماتنا ودوافعنا وشئوننا تختفي تماماً عن عيوننا ، فنرى ما نحتاج أو نريد أن نراه ، واغلب الحقيقة تمر بجانبنا ببساطة ، فيقول التبييتين (٧٨) ، أن النشال عندما يقابل قديسًا لا يرى إلا جيوبه ، أيضا ، الأشياء التي نراها ، يكون ذلك من خلال عدسات امتلكنها بالتقادم بمعنى : أن اهتماماتنا وتداعياتنا قد شوهت الصورة التي تصل إلينا من خلالها ، فعندما يطلب من الأطفال الفقراء رسم (الفلس) يرسمونه كبيرا ، اكبر من رسمة الأطفال الأغنياء الذين يعدون (الفلس) شيئاً مألوفاً مبتذلا ، فالفلس يظهر مجسما في عين العقل لديهم ، وهكذا ما نعتبره حقائق حسية يبدو تراكيب سيكولوجية ضخمة .

إذا فكل ذلك يندرج تحت قضية سيكولوجية مسلم بها ، أما الأكثر تشويقا يكون عندما نلحظ أن تلك المستويات العميقة من الأفكار والمشاعر التي تتحكم في ما نراه تتشكل عن طريق ما يسمية بوذا السموم الثلاثة : الرغبة(البخل – الطمع – الجشع)، والكراهية (الخوف – الكره – الغضب) ، والجهل هو أعظم هذه السموم ، وخاصة ذلك الجهل المتعلق بشخصياتنا والذي يجعلنا نقسم العالم إلى ما نحبه وما نكرهه ، معتقدين بأننا معزولون فنطلب ما يغذى أنفسنا ونعرض عن ما يهددها ، ما نسميه " نفس " هو

(٧٧) ibid.p.p 76 . 77

(٧٨) التبت: هى منطقة يسكنها الرهبان البوذيين وقد انتشرت البوذيه فى التبت انتشارا واسعا منذ عام ١٠٧٦ وقد تاثرت منطقة البنغال المجاورة للتبت بالبوذية وهاجر اليها كثير من الرهبان البوذيين ابان إنتشار الاسلام هناك
راجع : جفرى بارنذر المعتدات الدينية لدى الشعوب عالم المعرفة العدد ١٧٣ ، ١٩٩٣م ، ص ٢٦٠

ملغـم للرغبـات والخـوف مـدمج معهـا الأشـياء الممقوتـة بإحكـام ، مثـل كـراه الجولـف " يلتفـت المطاط حول مركزها " هذا المركز هو الشخصية المفضلة .

وبذلك تتعرض هذه النفس لضربات قوية ، ولكن ما يشغلنا أنها ليست بخير ، فالجزع والقلق يحومـا حولهـا ، فتشـعر بـالهوان والمـرارة ، مـن الممكن أن تحبط وتدمر، يعتق الآخرون أنها في أحسـن حـال فـي تشـعرب(الاسـتقلال والزهـد ، والتحمل).

لقد تعمدت ذكر هذا التشبيه لنرى مدى قدرة النفس على الارتقاء ، حتى ترتقي لابد لها من أن تكسر ذلك المطـاط الـذي يحـيط بهـا ، فلابـد أن تنفذ من خلاله ، كما يقول الآن واتس " alan wattas الذات المغلفة بالجلد " encapsulated ego لو استبدلنا المطاط بالزجاج وتخيلنا السموم الثلاثـة العدسـة التـي تعكس موجـات الضـوء فـي أهوائنـا ورغباتنـا ، وبعـد أن تتحـرر الـذات مـن الانحرافات الانوية ، تخرج سالمة ويتناقض بشدة معـدل " الأنـا " ويقـل حجمـا ، وتكـون النهايـة المنطقيـة لتلـك العدسـة أن تصـبح زجاجـاً شـفافاً نسـتطيع أن نـرى مـن خلالـه كـل شـيء بشـكل موضوعي ومحسوس ، نراها كما هي تماماً .

هذا الزجاج الشفاف لا يشبه أي زجاج أخر لأنه اللاوعي المقدس لدينا ، وكلما ازدادت درجة شـفافيته كلمـا حسـن أداؤه ، يقـول اكهـارت " ekhart كلما تلاشى الزجاج ، كلما وجدت النفس " ، وعندما يتلاشى الزجاج يتلاشى أي شئ يمكن أن يفصل الظاهر والباطن أو يفصل النفس عن العـالم ، أمـا الزَينـى يسـتخدم صـورة " المـرأة المستديرة الضخمة " عندما تمحى السموم الثلاثة تعكـس العـالم علـى حقيقتـه ، كلمـا عظُـم تقعـر عدسـة الأشـياء الممقوتـة لـدينا ، وأصـبحت شـبه دائرة فإننا نتقبل القليل الذي يواجهنا منها ، كذلك عدسـة رغباتنـا التـي هـي الوجـه المحـدب للعدسـة السـابقة ، كلمـا عظمـت ابتعـدنا عـن الحقيقـة ، ويؤيـد ذلـك رؤيـة بـلاك الكلاسـيكية " كلمـا كانـت أبـواب الإدراك نقيـة ، كلمـا بـدئ كـل شـيء فـي صورته الحقيقية "

والإنسـان الحقيقـي تكـون الأبـواب الزجاجيـة لإدراكه شديدة النقاء ، وعندما تتخيل تلك الأبواب فـي طبقـات متتابعـة لعقولنـا اللاواعيـة ، نجـد أن الطبقات السطحية تختلف من شخص لأخر لأنها تأثرت بنتائج الطفولة البريئة وفى احد المستويات ، نقابـل السـموم الثلاثـة (الرغبـة ، الكراهيـة ، الجهـل) والمألوفـة لجـنس البشـر ، ان لـم تكـن حتمية لديهم ، أما الطبقة الأعمق ، في الحقيقة لا تعد طبقة ، فهي " زجاج شفاف " أو " مرآة " تكشف أي شيء إلى نفسها فهي غير موجودة ، فعندما ننظر إليها نرى حقيقة العالم ، وهذا سبب مقنـع لتسـميتها مقدسـة " دينيـة "لأن القدسـية تتماشى مع الكمال ، لكننا نتعلم من رؤية بلاك blake ، أن الإدراك النقي لا يكشف عن العالم الحقيقي ولكنه يجده من خلال القصص البوذية التـي تقـول أن أقـدس مـا فـي الكتـب لمنزلـة هـو صـفحاتها الغيـر مكتوبـة ، مثـل شـجرة الأنانـاس التـي جردتهـا الريـاح أو سـرب الإوز الـذي يطيـر في سماء الخريف .

أما عن طبيعية حياة الشخص صاحب الروح المتحررة وكيف يراه الآخرون ، نجد أنه يعيش في روحانية دائمة ، هذا لا يعنى انه في حالة ثورة أو هياج ، فحالته لا تشبه تدفق نوبات الأدرينالين أو النوبات الجنونية التي تقتضى الاكتئاب لتوازنها عاطفياً ، فهو كثير الشبه بأحد شخصيات كيبلينج حين يصفه ، فيقول " انه يعتقد أن كل الأشياء معجزة عائلة وعندما يتعرف الإنسان عليها فانه يدرك مبدأ يعمل وفقه " ونجد أن القدسية ، الروحانية لا تتضاد مع الرصانة والهدوء ، فهي تتضاد مع الكآبة ، والاستخفاف ، والإهمال ، والسلبية ، ومع كل ما هو ممل ومضجر معتاد .

أما الصفات الأخرى لذلك الشخص المتحدده jivanmukta لابد أن تتعلق بما هو مضاد نسبيا لهذا الواحد المطلق ، الإحساس الحاد بالذهول وغموض كل شيء ، كل ما يمكن قوله عن هذا الشخص يحمل سمة الازدواجية بين الإيجاب والنفي، فهل هذا الإنسان دائما سعيد ؟ حسنا ، نعم ولا ، من ناحية ، وبالتأكيد انه غير سعيد دائما ، ولكنه لا يستطيع أن " ينتحب مع من ينوحون " ولو كان سعيد دائماً ، فهو مخلوق غريب عديم الشعور ، غليظ وفظ ، أيا كانت الإجابة ، الروح الحقيقية، تكون على صلة قوية بالإحزان والعموم ، لأنها جزء من طبيعة البشر ، وأنها لا بد أن تكون مقبوله وإن نعيشها كأى جانب من جوانب الحياة ، وإن نرفض الجانب المظلم من الحياة وتحول عينيك عنه رافضاً أن تشارك الآخرين في أحزانهم ، وإن تشارك في المسرات فقط ، ويجعل هذا الجانب يتعمق بداخلنا كنوع من الخوف متضمنا الخوف من الموت إحدى القصص التي حكاها "شاكوسوين" shaku soen (٧٩)

احد الزنبين الأواخر تؤكد الموقف المنطقي للروح تجاه السعادة التي نلحظها ، عندما كان قادراً على المشي ، أحب أن يتنزه في المساء في قرية قريبة ، فسمع نواحاً من احد البيوت التي يمر عليها ، فدخل في هدوء ووجد رب البيت قد مات وأهله وجيرانه يبكون ، وعلى الفور جلس وبدأ يبكى معهم ، ويعلق احد السادة متأثراً بهذا المشهد " لقد اعتقدت انك على الأقل كنت وراء كل ذلك " فرد الرجل " ولكن هذا ما جعلني وراءه "نستطيع أن نفهم دموع الرجل ، ولكن لا نستطيع أن نفهم كيف كان وراءها ، مثل السلام الذي تعجز عن فهمه ، إن السلام الذي يشعر به المرء عندما يكون جوعانا فيجد الطعام أو عندما يجد المريض شفاءً يعد نوعاً واضحاً مفهوماً ، وذلك السلام الذي يفوق الفهم يكون فى نوبة من الالم وعندما لا يمكن تخفيف الالم ولا يتحول الألم أبدا ويصل إلى أقصاه ، فدموع الرجل كانت حقيقة ولكنها وبشكل متناقض لا تنتمي إلى أراء الشرق المؤيدة كما يجب أن تكون ولا إلى أراء الغرب المنافية .

ومن خلال جهودنا لأدراك الكمال البشرى نجد أن كل شيء يؤكد تلك الرؤية التي تتماشى مع الزهد من ناحية ومع النزعة العاطفية من

(٧٩) ibid , p . 79 .

ناحيـة أخـرى ، فـالنفس الروحانيـة لا تكـون دائمـاً مبتهجة بشكل مضايق ، وذلك ليس فقط أننا لأننا نشك في تلك الابتسامة التي لا تتغير ولكن أيضا تلك الابتسامة تؤكد كأبتنا على العكس ، ليس كل مكـان يدخلـه " صـاحب الـروح المحـررة " يفـيض بالنور ولكنه يستطيع أن يرسل ضوءه إلى السخط والنقمـة ويقلـب مناضـد الصـرافين ، ليسـت الثابتـة ولكنهـا الوسـيطة هـي السـمة المميـزة لـه ، والتـي لـديها ذهيـرة العواطـف وقيادتهـا ، والكنسـية الكاثوليكية كانت محقة عندما ربطت من البهاء والطهارة والتقديس ، ولكن على الرغم من ذلك فلا بد من التركيز على الشخصية صاحبة ذلك البهاء والتألق فالحياة هبة لابد أن نقبلها ومهمة لابد من أدائها ، والبـارع يؤديهـا كمـا يلـي : كـل مـا يقابلـه من مهام يؤديها بكل ما أوتى من قوة ، حتى إذا تطلب ذلك أن يسير فـي الصـحراء المقفرة يفعلـه ولا يبحث عن بديل ، فتكون السعادة نتاجاً لذلك ، ولكـن مـا يهـم أولا ، هـو صـدق العزيمـة كمـا هـو الحـال مـع الزنـى دوجـين فهـو لـم يشـعر بالإرهـاق إطلاقا في أى مهمة .

دائمـاً مـا يكـون صـاحب الـروح المتحـررة فـي حالـة مـن السـناء والبهـاء وتتـأجج منـه الطاقـة فيستخدم قوته وقمتها أرداها فهي متجددة دائما لا تنفذ ، كمـا هـو الحـال مـع (سـقراط) حينمـا كـان يذرع الميليشيا طول الليل باقدام حافية على الثلج ، وعامـة ننظـر لـه علـى انـه هادئ مستكين غير مثقل أو مسئول ، لأننـا نـرى نمـوذج الشخصـية الديناميكيـة الجاذبـة ينـزع للأنانيـة والغـرور غالبـاً ونـذكر أن أي شـيء يمكـن أن يقـرب ذلـك البـارع من الأفاق الدالية ، والمناطق الذهبية التي اسميها اللاوعي المقدس ، لابد أن يتقرب منه ، فمثلا لو أن القيـادة مطلوبـة لابـد أن يسـعى إليهـا ، انـه لـم يمنـع مـن أن يكـون مرشـداً أو معلمـاً روحيـاً ولكنـه لا يحتـاج لذلك فهو لا يحتـاج إلـى تلاميذ لدعمـه أو مساندته ، فالأضـواء المسلطة والظـاهر لا تهم ولا تختلف معه .

كل تلك الحالات التي مر بها صاحب الروح المحررة تنتهي بمجرد أن يصل إلى هدفه ويدرك اللاوعـي الـديني لديـه أخيـرا ، وبـذلك الوصـول للهـدف اللاشخصـي والموضـوعي تتلاشـى الأنـا بشكل مطلق وهنا يقول كوماراسومي " مبارك ذلك الرجل الذي يمكن أن يكتب على مقبرته " لا يرقد هنا احد ".

خـلال مـا سـبق قـد أقررنـا بـان هنـاك مبـدأ ثابت وحيد نتبعه في رحلة تطهر النفس وتلاشيها يسمى الإحساس بالتقديس ولكن هنا لابد أن نسلم بان هناك ثابتاً أخر وهو ، إدراك مدى البعد بيننا وبين ذلك الهدف المشار إليه فهناك العديد من الجبـال لابـد أن نعبرهـا ، لقـد خلقنـا حتـى نـدرك حقيقة أنفسنا ولن يحدث ذلك حقاً إلا إذا سمونا ، بها ، إن اللاوعي المقدس لدينا قريب جداً ولكنها فقـط تلـك الحـواجز الطفيفـة التـي تفصـلنا عنـه ، ولكـن لا نـزال بعيـدون عنـه جـداً ، لأن تلـك الحواجز تبدو لنا جبال يجب أن نزيلها بأيدينا ، فنحاول كثيراً فيروح ذلك سدى وتبقى الجبال كما هـي ، ولا نـزال نحـالو ، أمـا عـن الحقيقـة ، فنحـن غالباً ما نسمع فقط ونادراً ما نراها فعلاً ، فالجبال ليست متواجدة ولم تكن أبدا

References
1-daniwl brown interntional journal of clinical and experimental hyponosis october 1977,24,4
2- schoegl the wisdom of the zen masters ; new york ; new direction s; 1975 p. 21
3- hinduism and buddhism , westport sonn greenwood press, 1943 , p . 30

انطلاقا من الوعي الذاتي إلى الوعي الكوني

From self to cosmic consciousness
richard m . buke

ريتشارد م . بك :

بدأت الكتابة عن الوعي الكوني في عام ١٩٠١م وهو يعتبر واحداً من حفنة من النصوص الكلاسيكية والذي كان سبباً ساعد في أحداث حركة الوعي الكونى العام ، عام ١٩٠٢ يرمز ل " ويليم جيمس " فى كتابة تعدد الخبرات الدينية ،يمثل شكل اخر في عام ١٨٧٢ في سن الخامسة والثلاثين كان الطبيب النفسي الكندي المعروف باسم " ريتشارد م .بك " الذي مر بلحظة التنوير الخارقة وبعد ذلك كرس نفسه لدراسة هذه الظاهرة أي أن أي ظاهره الوعي الكوني والتي غيرت حياته للأفضل ، من وببحثة ومسحه للتاريخ البشرى وقام بوصف اكثر من اثنا عشر من الأفراد الذين يمثلون الوعي الكوني comic consciousness ومن خلال هذا البحث ظهرت ملكة جديدة انضمت إلى الجنس البشرى خلال ذلك التطور ، وقد وجد هذا البحث أناسا آخرين لكنهم ناقصي التكوين ومثيري للشك مقارنة بالمجموعة السابقة وصنفهم في ومن بين هؤلاء من اصحاب الوعى الكامل " بوذا و كريشنا والمسيح و القديس بولس و محمد و دانتى و القديس يوحنا و ذو الصليب و ويليم بلاك و وولت ويتمان و وأخيرا مدام جيون "

في هذه المجموعة ناقش " بك " مميزات الوعي الكوني ، هناك شيئان لا يعنيان شيئا هنا أسلوب بك " في الكتابة كان غريباً بعض الشيء على إحساس الرجل المعاصر مع ذلك كان مناسباً لتلك الفترة ، لا تدع مبالغة "بك" في اهتمامه بمجال وأسلوبة المستخدم مع " هو " أو " الرجل " أو " الإنسان " أو " الناس " تكون عائقاً لتقييم رسالته

ثانياً : بالرغم من أن " بك " علق على الوعي الكوني comic consciousness

بأنه ظهر في أفراد وبدرجة اكبر في الجنس الذكرى مع انه لم يكن متعصباً للجنس الذكرى الذي ينتمي هو إليه ، وقد قام بإدراج ثلاثة من الإناث في قسم" ناقصي التكوين ومثيري الشك " باعتبار أنهم الجنس الأخر ، وفى نهاية كتابة علق " بك " بأنه يعرف ، سيده على قيد الحياة هذه المرأة ، تعد حالة معبرة عن الوعي الكوني لكنها ترغبة ان تظل مجهولة .

انه لمحزن أو غير مفهوم بان " بك " وجد أمثلة مسجلة وإن كانت قليلة من النساء البسطاء ذوات العقل المستنير وذلك لأن التاريخ المسجل في تلك الفترة يميل إلى انه تاريخ ذكرى متجاهلاً النصف البشرى الأخر ويظهر ذلك من خلال التحيز البطريركى بميله إلى الرجل ونشاطات الرجل .

لو يجب ان نعى اننا لو كنا على حق فى الافتراض القائل ان التطور البشرى لم يتوقف فإنه

سوف تنشأ ملكات جديدة من وقت لأخر ولد نشأت ملكات جديدة كما هو الحال في الماضي ، دعنا نزعم بان ما في هذا الكتاب و يعرف باسم الوعي الكوني يمثل مولد لملكة فائقة ، الآن دعنا نرى ما نعرفه عن هذا المفهوم الجديد أو الحالة أو الملكة أو باى اسم تم تسميتها ، أولا ، نلاحظ بان هذا المفهوم الجديد لم يظهر بمحض الصدفة، بل كان من المهم لظهوره أن شخصية الإنسان الكامل لابد ان تتواجد وان وتزودنا بشروط مسبقة لمولدها ، وفى معظم الحالات الخاصة يوجد تطور استثنائي من بعض أو كل الملكات البشرية العادية ، وعلى وجه الخصوص فان هذه الحالة المعروفة لدينا ودون ادني مجال للشك فان الكمال الفردي للملكات العقلانية أو الأخلاقية عن المفهوم الخاص عند " وولت ويتمان " لا تخطئه العين فمن المحتمل بان التقريب إلى هذا التمايز التطوري ضروري في كل الحالات وبالتأكيد بعض الحالات والمحتمل في الكل بان حالات الإنسان الذي يمتلك بنية جسمانية خاصة أو جمال في الجسم أو المشية أو صفات الوسامة أو صحة خاصة أو جمال خاص في الطباع أو جاذبية استثنائية exceptional magnetism .

الملكة في ذاتها تشمل على العديد من المسميات ولكنها ليست مفهومة أو متعارف عليها ، وسيكون من الأفضل أن نذكر بعضاً من هذه المسميات ، فكلا من " جوثاما " و " بوذا " أو واحداً من احد تلاميذهم المبكرين سماها (نيرفانا) nirvana والمقصود بها السعادة القصوى التي تتخطى الألم والتي تلتمس في البوذية من طريق قتل شهوات النفس ، وذلك بسبب خمود الملكات العقلانية الأقل (مثل مفهوم الذنب أو الخوف من الموت أو الرغبة فى الثروة .... الخ) اكتسبتها ، أما المسيح فقد سمى هذه الحالة الجديدة بمملكة الرب أو مملكة السماء وذلك بسبب السعادة والسلام الذي ينتاب هذه الحالة ، أما " بولس " سماها ب " المسيح " وقد تحدث عن نفسه بأنه كشخص المسيح وإن كل هذه الملكات تجمعت في شخص المسيح ، وسماها بولس أيضا " الروح " وروح الرب ، وبعدما دخل بولس في الوعي الكوني قد عرف أن المسيح يمتلك الحس الكوني وانه عاشه كما ينبغي كنفس أخرى عاشت بداخله ، وهذه النفس الأخرى أسماها بالمسيح والتي تم إرسالها من قبل السماء ، وقد تعرف على هذه الروح ليس كما تعرف على المسيح وكلاً منهما هو المسيح ، والمسيح كان هو المثال الذي يحتذي به في الجنس الراقي الجديد وكان هو أيضا النذير وازدواج شخصية الإنسان التي تشتمل على الوعي الكوني سوف يظهر مرات عديدة كما تبعناه وسوف يرى كما لو كان ظاهرة ثابتة وبارزة ، اسماه " محمد " الحس الكوني او " جبريل "(٨٠) . " وبوضح محمد شخصاً منفصلا يعيش بداخلة ويتحدث إليه ، وهو ما اسماه " دانتى " صنع السعادة ، وهذا الاسم يتوافق تقريبا

(٨٠) إن النبى محمد صلى الله علية وسلم لم يشير الى جبريل باسم الوعى الكومى زانما اشار الية كما ذكرة رب العزه امين الوحى ورسوله وما ذكره الكاتب هنا خلط غريب عن الروح الاسلامية

مـع " مملكـة السـماء "بالـذاك " أسـمى الإنسـان الجديـد ب " المتخصـص " والحالـة الجديـدة ب " الخاصـة " و "تيمـان " أسمى الـوعي الكونى ب " روحـي " ولكنـه تحدث عنـه كما لـو كـان شـخص آخر على سبيل المثال يقول:

١. أيتها الروح الطليقة أنا معك وأنت معي .
٢. أيتها الروح نحن أيضا أخذنا سفينة .
٣. بالضحك والقبلات العديدة .

أيتهـا الـروح أنـت أسـعدتني وأنـا أيضـا وقـد تعامـل (بيكون) فـي قصـائده مـع الحـس الكـوني على انه شخص متميز أخذه العالم لمدة ثلاثمائة سـنة وافيـاً بوعـده ، ولقـد اتفـق العـالم علـى انـه " شـخص " ومهمـا كـان مسـمى الحـس الكـوني فقـد كان دائما صديقا صغيرا للمشاعر .

وبالمناسبة فقد ذكر انه عندما دخل الجنس فـي حيازة الملكـة الجديـدة ، وخاصـة إذا كـان ذلـك فـي خـط ارتقـاء مباشـر بـالجنس مثلمـا الحـال مـع الـوعي الكـوني ، وهـذه الملكـة سـوف تحـدث بالضرورة في البداية ليس فقط عن طريق أفضل النمـاذج للجـنس ولكـن أيضـا عنـدما يكونـوا فـي أفضل حالة لهم وفى قمة النضوج وقبل أن يحدث انحدار للعصر الذي كان قد بدأ فيه ، والآن ما هي الحقائق الخاصـة بظهور الحس الكوني ولقد لخص هذه الحقائق في كلمات قليلة كما يلي:

مـن أربعـة وثلاثـين حالـة والتـي كـان فيهـا التنوير علاجاً وخلال الفترة التي حدث فيها كان معروفـاً بدرجـة معينـة مـن اليقين ، والعمـر الـذي مر فيـه الإنسـان بـالوعي الكـوني كـان فـي المثـال الأولـى (٢٤) عامـاً وفـى الثـاني (٣١) عامـاً وفـى الثـاني أيضـا (٣١.٥) عامـاً وفـى الثالـث (٣٢) عامـاً وفـى الأول (٣٣) عامـاً وفـى الثـاني (٣٤) عامـاً وفـى الثـامن (٣٥) عامـاً وفـى الثـاني (٣٦) عامـاً وفـى الثـاني (٣٧) عامـاً وفـى الثـاني (٣٨) عامـاً وفـى الثالـث(٣٩) عامـاً وفـى الأول (٤٠) عامـاً وفـى الأول (٤٩) عامـا وفـى الأول أيضـا (٤٥) عاماً.....

وبعد ذلك ظهر الوعي الكوني في أفراد لهم قـوة عقليـة جديـدة وصـفات أخلاقيـة عاليـة ولهـم أيضا قوة جسمانية فائقة .

وينبغي أن نفهم بوضوح كل حـالات الـوعي الكـوني وأنهـا لـيس فـي نفـس المسـتوى ، أو لـو تكلمنا عن الوعي البسيط أو الوعي الذاتي والوعي الكـوني فكـل منهمـا يشـغل مسـتوى كنطـاق مـن الوعي الذاتي في مستواه الخاص به (فربما يكون رجـل واحـد مثـل أرسـطو او قيصـر او نيـوتن اوكومـت "مسـتنيرا بينمـا جـاره فـي نفـس الشـارع المجـاور ربمـا كـان عقلانيـاً وأخلاقيـاً كمـا يبـدو مظهـرة، وذلـك النطـاق الـذاتي أعظـم مـن نطـاق الوعي البسيط في الجنس الخاص بمستواه ولذلك يجب أن نفترض الوعي الكوني ظهر فى ملايين مـن الحـالات مثـل المسـتويات الأخـرى ، ونطـاق الوعي الكوني أعظم نطاق من الوعي لذاتي ومن المحتمل أن يكون حقيقة أعظم من النوع والدرجة أي انـه أعطـى عالمـاً مـأهولاً بأنـاس لـديهم الـوعي الكـوني وسـوف يتغيـرون فـي كـلاً مـن طريقـة العظمـة والمقـدره العقلانيـة المتطـوره اخلاقيـا و روحانيا وأيضا في طريقة تنوع الشخصية والأكثر مـن ذلـك بأنـه سـوف يكـون سـكان الكوكـب فـي

مستوى الوعي الذاتي ، وفى حدود مستوى الوعي الكوني سوف يكون رجل ما متاله بينما الأخر لا يكون وبالملاحظة العادية ارتفع كثير فوق البشر العاديين ومع ذلك فان حياته الداخلية سوف تكون عظيمة وقوية ومنتقاة بالحس الجديد ولكن الرجال عند مستوى الوعي الذاتي وبطريقة غير محددة تقريباً يتفوقون على الحيوان فحسب عند مستوى الوعي البسيط .

فان أي إنسان يتمتع باستمرار بالحس الكوني الذي سوف يكون وبطريقة لا متناهية الاعلى والأنبل أكثر من أي شخص عنده وعى ذاتي فحسب ، وليس فقط ذلك ولكن الشخص الذي يمتلك الحس الكوني ولو لدقائق فانه لا ينزل أبدا للمستوى الروحاني في شخص الوعي الذاتي ولكن فيما بعد عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة سوف يستمر يشعر بداخلة بالنقاء والقوة والمجد متأثراً بالتنوير الإلهي .

وكثيرون ممن يمتلكون الحس الكوني سوف يذكرون أن البنية الروحانية تفوق الشخص المتوسط .

تبنى الفرضية الكتاب المعاصر على حالات الوعي الكوني ، والتي يجب أن تصبح أكثر تعدداً من عصر إلى عصر ، وليس ذلك فقط ولكن لابد أن تكون اكمل وأكثر جلاءً ؟ ما هي الحقائق ؟ الموضوعة بجانب الحالات الثانوية والتى تصل الى الوعى من الكونى، ومن هذه الحالات المذكورة أنفا على الأقل ثلاثة عشر كانوا عظماء لا يمكن أن يسقطوا أبدا من الذاكرة البشرية ، وأسماؤهم (جوتاما "بوذه" المسيح ، بولس ، بوليتنس ، محمد ، دانتى ، لاس كاسس ، جون بيس ، فرانسيس ، بيكون ، جاكوب بيهمن ، ويليم بلاك ، بالذاك ، وولت ويتمان)

ابتداء من جوتاما "بوذا" إلى " دانتى " نبدأ في عد ١٨٠٠ عام يضم خمس حالات ، مرة أخرى من " دانتى " إلى اليوم الحالي فإننا نعد ٦٠٠ سنة تضم (٨) حالات بينما في الفترة المبكرة كان يوجد حالة واحدة لكل (٣٦٠) سنة وبعد ذلك كان يوجد حالة لكل (٧٥) سنة وبمعنى أخر أن الوعي الكونى كان (٤٨) مرة أكثر غالبية أثناء الفترة الأخيرة عنها في الفترة السابقة ، ومن قبل فترة (جوتاما " بوذا ") كان من المحتمل عدم وجود أو على الأقل تطور بطريقة غير مثالية لتلك الحالات .

أول شئ يسأله كل فرد لنفسه عن اخذ الخبرة من هذا الشعور الجديد أو انه ما الذي أراه وهل هذا الشعور هو الحقيقة أم هل أنا أعانى من الوهم ؟ الحقيقة هي أن هذه الخبرة الجديدة تبدوا وكأنها أكثر حقيقة عن مذاهب الوعي الذاتي والبسيط مع أنها في بادئ الأمر غير مطمئنة للفرد لأنه من المحتمل بان يكون واهما حين يستحوذ الحاضر بصلابة على العقل وكأنه حقائق مؤكدة.

صحيح أم غير صحيح ؟ أن كل فرد لديه خبرة مشكوك فيها نهائياً أو بالضرورة يعتقد في تلك المذاهب ويتقبلها تماماً كأي مذاهب أخرى مهما كانت ، فذلك لا يثبت صحة تلك المذاهب ومع ذلك يمكن أن يقال بأنه جنون الوهم .

وكيف لنا أن نعرف بان ذلك هو الإحساس الجديد مكتشفين الحقيقة وانه ليس مجرد شكل من الجنون مقحمين موضوعه بالجنون ؟ في المقام الأول نزعات هذه الحالة التي هي موضوع النقاش ، ليست متشابهة تماماً وهى حتى مضادة لذوى الاغتراب العقلي ، وهؤلاء بوضوح أخر مخلوق ليس أخلاقي أو حتى خليع بينما السابق لهم أخلاقيا وبدرجة كبيرة ، وفى المقام الثاني بينما في كل أشكال قمع النفس الجنونية يتم تقليلها بشكل كبير أو يتم إلغاؤها في بعض الأحيان وفى الوعي الكوني تزداد بشكل كبير ، والإثبات الكامل لهذه الجملة الأخيرة من الممكن أن يتواجد في حياة الأشخاص المذكورة هنا كأمثلة ، في المقام الثالث (ربما يقول المستهزئين بالدين) من المؤكد أن الحضارة الحديثة) تعتمد وبشكل كبير(كما قيل من قبل) على تعاليم المفهوم الجديد لقد تعلم الأساتذة في خلال هذه الحضارة الحديثة ، أما باقي العالم فقد تعلم من خلال كتب هؤلاء المستهزئين بالدين وتابعيهم وتلاميذهم لذلك ما سمى هنا بالوعي الكوني بكونه شكل من الجنون ونحن تواجهنا الحقيقة المرعبة وهى أن حضارتنا تتضمن كل أديانا الرفيعة معتمدة على الوهم ، ولكن في المقام الرابع بعيداً عن التسليم أو اللهو ولو للحظة كبديل أخر مخيف .

ومن الممكن ذكر أن لدينا نفس الدليل لهذه الحقيقة الموضوعة والتي تتوافق مع هذه الملكة نمتلكها لهذه الحقيقة والتي تكشف أي مفهوم أخر أو أي ملكة مهما كانت ، الرؤية على سبيل المثال فأنت تعرف أن الشجرة تقف هناك عبر الحقل على بعد نصف ميل فهذه حقيقة ليس وهم لأن كل الأشخاص الآخرين لديهم الإحساس بالرؤية والمتحدث عنها يراها أيضا ، بينما لو كانت هذه الرؤية هلوسة فلا يراها على أي أحد إلا أنت ، وبنفس طريقة الجدال التي ناقشنا فيها حقيقة العالم الموضوعي كاشفين عن الوعي الكوني ، فكل فرد لديه حقيقة جوهرية مصنوعة من نفس الحقيقة أو الحقائق ، لو أن ثلاثة أشخاص نظروا إلى الشجرة لمدة ساعة ونصف وسئلوا بان يرسموها أو يصفوها فسوف يكون وصف الثلاثة أشخاص لتلك الشجرة غير متطابق بالتفصيل ، ولكن الرسم العام سوف يكون متوافق ، وعلى نفس الطريقة قم بعمل تقارير لهؤلاء الذين لديهم توافق جوهري في الوعي الكوني ، فبالرغم من أن هؤلاء تفضيلاً سوف يكون هناك تشعب أو انحراف طفيف أو كبير بينهم (ولكن تلك الاختلافات نابعة من سوء فهمنا لتلك التقارير تماماً مثل ما في التقارير نفسها) ولذلك فانه لا يوجد مثال لشخص واحد قد برز متجاهلاً أو متعارضاً مع شخص أخر قد مر بنفس التجربة .

مثلما قيل أو ادعى أن الإنسان ربما دخل للوعي الكوني فانه لابد من أن يمر بعالم الوعي الكونى الخاص بالطبقة الموجودة في القمة ، ولكنه ليس في حاجة إلى أن يمتلك عقلية خارقة فهذه الملكة تظهر غالباً بعيداً عن قيمتها الحقيقية وتقريباً لا تبدو هامة بدرجة كبيرة ، من خلال وجهة النظر هذه ، مثلما فعل الآخرين) ولكنه

لابد أن يكون أيضا عاجزا في هذا الشأن ، لابد أن يتمتع ببنية جسدية جيدة ، وصحة جيدة ، ولكن فوق كل هذا وذاك لابد أن يكون لديه طبيعة أخلاقية سامية ، ورياضاً عاطفة قوية ، وقلب حنون ، والشجاعة، والقوة ، وشعور ديني جاد ، وكل هذه الصفات منحت له ، فمن الضروري للإنسان أن يصل في هذا العصر إلى قمة طبقة الوعي الذاتي العقلي وذات يوم سيدخل للوعي الكوني ، ما هي خبرته؟ التفاضل يجب أن تذكر بحياء مثلما كانت معروفة للكاتب في حالات قليله ، ودون شك ستتنوع هذه الظاهرة وتتعدد ، ماذا قيل هنا ؟ مهما يكن ما قيل (وبقد ما ربما يعتمد على ما مضى) فانه لصحيح في حالات مؤكدة وبالتالي يلمح إلى الحقيقة الكاملة في حالات أخرى مؤكدة ، ولذلك يعتبره صحيحاً ولكن بصورة مؤقتة

الإنسان فجأة وبدون وعى ينتابه شعور بأنه غارق في لهب من نار أو في سحابة وردية اللون أو ربما ينتبه شعور بان عقلة نفسه مملوء بالسحاب أو الضباب الخفيف .

وفى نفس الوقت يشعر بإحساس عابر من الفرحة والثقة بالنفس ، والعزلة ، وهذه الكلمة الأخيرة ليس صحيحة بالضبط لو أخذت بمفهومها العادي ، وبالنسبة للشعور عندما يتور كليه ، ليس فقط الدور الخاص الذي تلعبه العزلة يكون مؤثراً ، ولكن لا حاجة للعزلة الخاصة ، فالنظام الذي بني علية العالم ليس واف في ذاته ، أنها النشوة البعيدة عن أى حياة تخص الوعي النفسي والتي جعلها الشعراء شغلهم الشاغل : مثل (جوتاما " بوذا ") ففي أحاديثه التي تم حفظها في (سوتاس) والمسيح حفظت في (حكايات لها مغذى أخلاقي) ، وبولس في (رسائل انيله) ودنتى حفظت في نهايات (طاهر من الإثم) وأيضا في بدايات (الفردوس) أم شكسبير حفظت في (قصائد) أما ويتمان في (أوراق المكتب) وادوارد كارنتر في (نحو الديمقراطية) تاركاً بجانبه المغنين والسرور والألم ، والحب والكراهية ، والأسى والسعادة ، والسلام والحرب ، والحياة والموت ، لرجل الوعي الذاتي ، وعلى الرغم من أن الشعراء تعاملوا مع مثل هذه المتناقضات أيضا ولكن ذلك كان من خلال وجهة النظر الجديدة ، مثلما تم التعبير عنها في " أوراق كتبهم " (لم اعد اذكر أبدا الحب أو الموت داخل البيت) أما من وجهة النظر القديمة استخدمها الشعراء في كلماتهم التي توح بمعاني أخرى ، وسريعاً وبإتباع ذلك المفهوم والخبرات العاطفية أتى إلى فكر الإنسان التنوير العقلاني الهادئ ، والذي يستحيل وصفه ، كوميض يمنح إلى مفهومه الواضح عن الوعي في خطوط خارجية تبين معالم المعنى ومجريات الأمور للعالم ، فالإنسان لم يات لكي يصدق ذلك فحسب لكنه يرى ويعرف ذلك الكون الذي له عقل نفسي واعي يبدو وكأنه خلق من شيء ميت مع انه في الحقيقة وجود حي ، فانه يرى بدلا من الكائن الحي بقاع الحياة متفرقة في بحر ميت لا له وأنهم في الحقيقة بقع من موت نسبى في محيط الحياة لا نهاية له ، ويرى أيضا أن الحياة التي بداخلها الإنسان حياة خالدة ، ككل الحياة لا

نهاية لها ، فروح الإنسان باقية كروح الرب ، وإن ذلك الكون بني ونظم على أن تعمل كل الأشياء معاً من اجل الأصلح للجميع ، وإن مبدأ الوجود للعالم هو ما نسميه الحب وسعادة كل فرد مؤكدة تمام على المدى الطويل ، وأن الإنسان الذي اكتسب هذه الخبرة سوف يتعلم في دقائق معدودة أو في لحظات استمرارية الحياة أكثر من دراستها ..... شهور أو سنين ، وسوف يتعلم كثيرا انه لم يكن هناك مفاهيم تم تعليمها أو يمكن تعليمها ، وبصورة خاصة يحصل الإنسان على مثل هذا المفهوم الكامل أو على الأقل كل هائل بينما يصغر الإدراك كله ، والخيال أو التنبؤ ، النابع من الوعي النفسي العادي ، مثل هذا المفهوم بينما يجعل المحاولات القديمة لاستيعاب معنى الكون عقليا أمراً مضحكا .

وإيقاظ العقل هذا وصف جيداً بواسطة " ارجرند " الذي كتب عن " بيهمن " بهذه الكلمات الإسرار التي تحدث عنها لم يخبره بها احد ، بل هو رآها بنفسه ، فهو رأى منبت كل الأسرار ومن حيث تنشأ كل التناقضات والمبادئ المتناقضة والصلابة والنعومة ، والقسوة والرقة ، والأسى والحب ، والسماء والجحيم ، كل هذه المتناقضات رآها في منشئها ، وحاول وصفها في منشئها أو يلغى نتائجها الخالدة ، وهو محض الكائن الإلهي من حيث المولد أو التعمق في التوضيح الإلهي ، فالطبيعة أصبحت مكشوفة أمامه وكأن مسكنه في داخل لب الأشياء.

على مدى الترقى الأخلاقي والتنوير العقلاني أتى ما ينبغي أن نسميه مفهوم الخلود ، فهذا المفهوم ليس عقيدة راسخة مثلما أتى بحل للمشكلة ولا هو أيضا خبرة مثل تعليم شيء غير معروف من قبل ، أنها بعيد كثيرا عن أن يكون بسيطاً أو ابتدائياً ، ويمكن أن يكون من الأقل مقارنته بهذه الحقيقة للفردية المتميزة ، والتي يمكن أن يمتلكها كل فرد والتي تظهر وتخص الوعي النفسي أو الوعي الذاتي .

بهذا التنوير يزول الخوف من الموت والذي يصاب به العديد من الرجال والنساء فتظل حياتهم كعباءة قديمة ليس كنتيجة منطقية .

وعلى نفس الطريقة يمكن أن يقال مفهوم الإثم ، فهو لا يكون بان يهرب الشخص من الإثم ولكنه لا يرى دائما أن الإثم يوجد في العالم الذي تهرب منه إليه

من أعظم السمات الجوهرية هو التنوير الذي لا مثيل له فهو شيء وميض ضوئي يبهر البصر في الليل المظلم جالباً نظر طبيعي مختبئ في منظر واضح .

الشخصية السابقة للإنسان الذي دخل الحياة الجديدة هو عنصر مهم في هذه الحالة .

ولذلك في الوقت المناسب الذي يحدث فيه التنوير لابد أن يسمع عن حالة الوعي الكوني والتي ظهرت في العشرينات على سبيل المثال ، ففي البداية يجب أن نشك في حقيقة سرد هذه الحالات.

والذي يضيف السحر إلى شخصية هذا الإنسان الذي يدرك الوعي الكوني هو دائما الصدق ، وهو صفة مميزة لهذه الحالة .

و فـي تلـك الحـالات العظيمـة التـي فيهـا التنوير يكون شديد فان التغيير موضع النقاش يكون أيضا شديد وربما يصل إلى درجة تغيير مظهر حقيقي " يقول دانتى انه " تجسد في صورة اله " ويبدو أن هناك احتمال قوى انه لو كان قد تم رؤيته في تلك اللحظة لكان قد عرض ما يمكن أن يسمى " التجلي".

القطعة من الوعي الكوني تبدو من وجهة النظر العقلانية كما لو كانت ظاهرة مساوية على نحو كامل قطعة من البسيط إلى الوعي الذاتي . وكما في الوعي الذاتي كذلك في الوعي الكوني Added conscioness.

added faculty:

عندما يصل الكائن الحي الذي يمتلك فقط الوعي البسيط إلى الوعي الذاتي ويصبح مدركاً من الوهلة الأولى انه مخلوق منفصل أو وجود الذات في العالم الذي هو جزء منه ، أي انه مع مجئ هذه الملكة الجديدة فانه يتدرب عليها دون وجود أي خبرة أو عملية التعليم

انه في نفس الوقت ينجز قوى متزايدة وهائلة من المعرفة المتراكمة والمبادرات لذلك عندما يدخل الشخص الواعي ، إلى الوعي الكوني .إنه يعرف بدون تعلم بمجرد حقيقة التنوير illumination أن أشياء معينة

مثل : على سبيل المثال :

أن الكون ليس آلة ميتة ولكنه وجود حيى .

انه في جوهرة ونزعته خير بلا حدود .

أن الوجود الفردي متواصل إلى ما بعد ما يسمى الموت في نفس الوقت .

إن التماثل يستمر أيضا من منظور الطبيعة الأخلاقية لأن الحيوان الذي له وعى بسيط فقط بما لا يمكنه معرفة أي شيء عن البهجة الخالصة في العيش بباسطة والتي يتم الحصول عليها (على الأقل ، كجزء من الوقت بواسطة كل رجل أو امرأة في منتصف العمل بصحة جيدة وبنية حسنة .

ربما لا يمكنه " بالنسبة لهذا الإحساس الاعتماد على الوعي الذاتي وذلك لا يمكنه الحصول على وجود ، الحصان ، أو الكلب يستمتعون بالحياة وهم يمرون بإحساس مقبول أو عندما يحفزوا بحركة مقبولة (في الواقع هو نفس الشيء) ولكن لا يستطيعون إدراك أن كل يوم فيه سكون فيه متعة الحياة ، الحرية في الحواس ، والأشياء الخارجية ، والتي تخص الطبيعة الأخلاقية (الحقيقة الأساسية بالفعل هي الجانب الايجابي في هذا) بداية ، كما يقال حقيقته) من مركز ينبوع الحياة للكائن الحي (وهو مفهوم السعادة) والذي يخص الإنسان كإنسان وهو في الحقيقة واحد من الموروثات القيمة وتراكيب جسم الإنسان هذه ليس في نفس المستوى أو هي كهضبة في منطقة الطبيعة الأخلاقية والتي عليها يخطو المخلوق الحسي عندما يمر أو مثلما يمر في الوعي البسيط أو الوعي الذاتي ، بالتوافق مع هذا الارتقاء الأخلاقي ومع هذه الخطوات المذكورة فيما سبق المأخوذة من العقل من الوعي البسيط لي الوعي الذاتي ومن الوعي الذاتي إلى الوعي الكوني ، اقرأ ما قاله (جوتاما " بوذا) والطبقة المستنيرة من البوذيين والتي تخبرنا عن

(النيرفانا (٨١)والتي تعنى (قمة السعادة) ويقول الكاتب المجهول ولكن من غير شك الكاتب الشهير في (الماهبهراتا) المتعصب للدين والذي سعادته تكون بداخل ضوء معرفته أيضا بداخله ، ليصبح من البراهمة) ويحصل على النعيم البديهي، انظر إلى قول المسيح (مملكة السماء) إلى زيادة النفوذ حيث يبيع الإنسان كل ما يمتلكه ، تذكر النصيحة التي ينسبها بولس إلى المسيح " وكيف هو مستوى إدراكه في السماء الثالثة يسئ إلى" التسامى الفوق أنساني " فيتحدث عن : إنسان يرفعة الى مستوى إلى اله " وهو يعطى المفهوم الكوني " خاصيه صنع السعادة " وهنا أيضا جملته الحازمة في البهجة والتي تخصه : الكون يبتسم لى من اجل إدخال النشوة إلى عبر السمع والبصر، أيتها البهجة ، أيتها السعادة التي لا توصف ، أيتها الحياة الكاملة بالحب والسلام ، أيها الغنى المضمون دون اشتياق ! انظر ماذا يقول " بيهمن " في نفس الموضوع

اللغة الدنيوية غير كافية تمام لكي تضيف ما هي البهجة ، السعادة ، والحب والجمال المتضمن في العجائب الداخلية للإله ، حتى لو حاولت العذراء الخالدة تصورهم لعقولنا ، تعجب متكرر " ساندوسيم ساندوسيم Sandosiam البهجة دائما البهجة ومرة أخرى " ادوارد كارنتر " كل الآلام انتهت " المحيط العميق و السعادة الداخلية " والجسم المملوء بالسعادة " التغني بالسعادة إلى ما لا نهاية " وفوق كل هذا ، خذ في الاعتبار شهادة "" ووت ويتمان " فهي شهادة غير متنوعة على الرغم من أنها دائما أعطت في لغة متغيره.

يقول :أنا قانع ، أنا أرى ، ارقص ، اضحك ، اغني " متعجبا ومندهشاً من انشراحي وسروري، يا بهجة الروح التي هي غير حبيسة المنطلقة كالشعاع " وأنا اجعل هذه الترنيمة تطفو بالبهجة اوجه بها لق أيها الموت وذلك التنبؤ بالمستقبل، ذلك المستقبل " حين يمشى مئات الملايين من الأشخاص الإجلاء خلال هذه الحالات ، يعنى الأشخاص الذين يمتلكون الحس الكوني ، وفى النهاية " الجو المملوء بالبهجة ، الجو كله يبتهج بهجة في حرية وعبادة وحب ! بهجة في نشوة الحياة كافية لمجرد الوجود ، كافية لمجرد التنفس ، بهجة ، بهجة ، بهجة في كل مكان .

حسنا شخص ما سوف يقول (لو أن هؤلاء الناس يرون ويعرفون ويشعرون بالكثير جدا لم لا يظهرونه بلغة واضحة ويفيدون العالم به(٨٢)

(٨١) النيرفانا: حالة من السعادة القصوى التي يحاول العابد البوذي الوصول إليه ، وهى قمة الطريق البوذي المعروف بمصطلح Samadhi حيث تمثل الترافانا حالة الوعي الواعي consciousness awareness
See- christams humphery I exploring buddhism p,p 75-80

(٨٢) يطرح الكاتب هذا التساؤل لان اللغة الصوفية لغةوالتجربة النورانية غامضة غير قابلة للوصف بالفاظ اللغة كما وصفها وليم جيمز
Innfabilit see william james the vurieties of religious experience usa 1901 .p367 وهى سريعة الزوال Transiency

وقد تم توجية نفس السؤال (ويتمان) يا وولت أنت تعرف من العلوم ما هو كاف لماذا لا تخرجه؟

ويقول ردا على هذا السؤال ، عندما أتعهد بان اخبر او أقول أفضل ما لدى فأنني أجدني لا استطيع بمعنى انه لا يستطيع التعبير عن مدركاتة .

لانه إكتشف ان لسانيه غير مؤثر على محاوره ، نفسه ليس مطيعاً لأعضائه ، لانه أصبح رجلا أبكم لا يمكنة الحديث بسبب ضخامة التجربة الروحية وغموضها .

لذلك فان إبليس عندما كان ملحقاً . ب " الجنة " سمع " كلمات لا يمكن التفوه بها " ودانتى لم يكن قادراً أن يعيد إحصاء الأشياء التي رآها في السماء ، هو يقول (ؤوياى كانت أعظم من الكلام الذي يرق لمثل هذا المنظر وكذلك الباقي) حقيقة الأمر ليس صعب الفهم هو أن الكلام كما سبق شرحه كاملاً هو اتفاق عقليه الذات الواعية ، ويستطيع التعبير عن ذلك ولا شيء سوى ذلك ولا يتفق ولا يستطيع أن يعبر عن الحس الكوني ، أو لو كان هناك إطلاقا فقط بقدر ما يمكن ترجمته هذا بمفهوم عقلية الذات الواعية .

سوف يكون من الجيد أن نذكر هنا (باختصار إلى حد ما لكي نفيد القارئ .. باختصار وبوضوح غايات الحس الكوني وهم:

الضوء الذاتي The Subjective Light.

السمو الأخلاقي The Moral Elevation.

التنوير العقلي The Intelctual Illumination.

الشعور بالخلود The Sense Of Immortality.

فقدان الخوف من الموت The Loss Of Fear Of Death.

فقدان الشعور بالإثم The Loss Of The Sense Of Sin.

مفاجئة ولحظية اليقظة The Suddenness, Instantaneousness Of The Awakening.

الشخصية السابقة للإنسان – العقلية الأخلاقية والجسدية The Previous Character Of The Man .

عمر حدوث الاستناره The age of illumination.

السحر المضفي على الشخصية إلى حد يجعل الرجال والنساء ينجذبون بشدة إلى الشخص. the added charm to the personality

تغيير مظهر موضوع التغيير كما يراه الآخرون حين يكون الشعور الكوني حافزاً بالفعل (83)the trans figuration of the subject of change as seen of others when the cosmic sense is present

---

(٨٣) قامت ايفلين أندرهل بعرض لهذه الحالة من الاستنارة المصاحبة للتنوير العقلي والوجداني والصاحبة للشعور بالخلود وفقدان الخوف من الموت ، في كتابها المعروف " دراسة على طبيعة وتطور الوعي الروحى لدى الإنسان . E. underhill j a study in the nature and the oevelopment of mans spiritual conscionsness London, 1949

كل شيء في هذا الكون ، في أي لحظة هو تمام حيث ينبغي أن يكون ، انه لا يناسبنا ربما لا يكون ملائما لنا ، ولكنه حقيقة بمجرد أن نسلم بها فان هناك إرادة إلهية تحدث نفسها ، وهى التي تحكم ، وعندما تنظر إلى نقطة أو نقطتين في العملية الكبيرة فانك ربما تجد الأشياء غير متناغمة ولكن من وجهة نظر أخرى فان الأشياء هي كما هي جميعا في وعاء الانصهار ، هم في منتصف عملية وفى اللحظة المناسبة سوف ينبثق إلى النموذج المقصود ، كل الازدواجيات وكل المتناقضات في الكون هي أشكال مؤقتة (٨٤)، نحن لا نحتاج إلى أن نتوسل إلى الله عندما يشير النقاد إلى وجود الحزن والألم والشر ، أنهم أحداث عرضية ، أنهم أشكال مؤقتة ، الإحساس بالشر الإحساس بالظلم والمعاناة لم يكونوا هناك قبل أن يظهر العقل الإنساني بأنانيته وسوف لا يكونوا هناك بمجرد أن يفوق الإنسان هذا العقل من الأنانية والرغبة ، أنهم ظواهر مؤقتة يميل الإنسان أن يصنع كثيراً منها وجود هذه الظواهر المؤقتة لا يمكنه الوقوف في طريق التعرف على وجود الحقيقة الكلية للوجود .

الخاتمة

النتائج

– أسفر هذا البحث عن العديد من النتائج الهامة منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولًا * بينما يكون الهدف من رحلة الاستنارة عند الصوفية المسلمين هو تطهير الجسد وكبح جماح الشهوات والغرائز فتكون وسيلة الصوفي للوصول إلى الروحانية الخالصة للجسد، فهي في الأديان الأخرى كالبوذية مثلًا تمثل نوعًا من الحكمة الخالدة. وفي الإسلام تمثل روحانية الجسد وفي الأديان الأخرى تجسيد الروح.

ثانيًا * إن ما لا تعنيه عملية الاستنارة كما يقدمها جون وايت أنها في نظره ليست حالة متغيرة من الوعي، وهي ليست عرضًا مبهرًا للظواهر النفسية، ولا القوى الخارقة، وكذلك فهي ليست رؤية تنقلك إلى مملكة سماوية إنما هي اكتشاف للعالم الداخلي أو كون داخلي مطلق بالإضافة إلى حكمة خالدة «Perenial Wisdom» تمثل الهدف النهائي للرحلة الروحانية.

ثالثًا * من سمات الحكمة التي يحظى بها المستنيرون أنها لا تتغير وأنها تحمل

---

(٨٤) يقول ابو حامد الغزالى: لايفوز بدرجة النظر والرؤيه الا العارفون فى الدنيا لان المعرفة هى البذر الذى ينقلب فى الاخرة مشاهد

راجع ابو حامد الغزالى ، معارج القدس ، مكتبة الجندى القاهرة ص ١٨٢ ويقول العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على انهم لم يرو فى الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميا وفهم من صار حالا ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكليه واستغرقوا بالفردانية المخصة ، واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ، ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا ذكر انفسهم راجع الغزالى مشكاه الانوار تحقيق د. ابوالعلا عفيفى الهيئه العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٦٤م ص ٥٧

كل سمات الصدق والحقيقة، وهى تمثل الحكمة المتعلقة باكتشاف كل ما هو كائن، إن الاستنارة هي إدراك حقيقة الكينونة الذاتية، كذلك هي اكتشاف للشخصية الكونية التي يطلق عليها اسم الرب على حد تعبير جون وايت أو الكائن الأسمى باعتبار الإنسان ليس مجرد كائن آدمي فقط بل هو كائن إلهي كما هو في التصور المسيحي.

رابعًا * يربط الباحثون الغربيون بين ادعائهم بالتطور الحتمي للكون واستشراف المستقبل أو التنبؤ بالتطور الكوني المستقبل أو ما يطلقون عليه «Cosmic Evolution» ويعتبرون أن هذا النوع من إمكانية التبؤ هو في الواقع شكل من أشكال الاستنارة وهو ما يختلف تمامًا مع وجهة النظر التي يعتنقها صوفية المسلمين الذين يفهمون الاستنارة باعتبارها توجهًا إلى الله وتخلصًا من قيود الجسد وإطلاق الروح كي يكون هناك فضل وهبة روحانية تحمل إلى قلب الصوفي علومًا وهبية مما أراد الله أن يحظى بها أصفياءه وأولياءه.

خامسًا * تبدو نظرية الاستنارة الغربية خليطًا غير متجانس من نشاط الجسد والروح معًا، وكذلك تتعلق بنظرية الخلق الطبيعى أو تطور الأنواع حيث **تتحول** المادة إلى مادة خالقة، وفى هذا إنكار للخلق الإلهي من عدم. وهى لا تفهم لماذا يحاول الإنسان دائمًا أن يتخلص من قيود الجسد، ولماذا يطلق الروح إلى حيث موطنها الأول، ذلك الموطن الإلهي الذي طردت منه بعد ارتكاب آدم للخطيئة الأولى، وأن هذا الشوق والحنين إلى الله هو طاعة للأوامر الإلهية التي جاءت في كتبه السماوية وعلى لسان رسله وخاصة ما جاء به النبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام.

سادسًا * يمكن التعبير عن الاستنارة بالعديد من **المصطلحات** التي استخدمها الحكماء والمتدينون في كل المعتقدات، ففي البوذية مثلًا هناك مصطلحات من أمثال: «Buddhism» ، وينعتها ريتشارد موريس بأنها حالة من الوعي الكوني «Cosmic onsciousness» ، وفى البوذية الزينية «ساتوري Satori» أو الخروج عن النفس، وفى اليوجا «سامادي Samadhi» أو «موكاشا Mokasha» وفى التصوف الإسلامي «فناء Fana» وفى الطاوية «وو Wu» ، أو المطلق «تاو Tao» ، ويتحدث سيري أوربندو « Siri Aurobindo» عن العقل المتسامي «Super mind» ، وتتحدث المدارس الروحية عن الاستنارة بمعنى «Illumination» أو تحرر النفس وإطلاقها، وفى النهاية يشار إلى

الاستنارة كنوع من التضحية الجسدية «Ultimate state Consciousness of» .

سابعًا * إن كانت الغاية من كل أشكال الاستنارة في العقائد غير السماوية هو الوصول إلى نوع من الحكمة السامية والوعي الكوني، فإن الغاية في التصوف الإسلامي تظل في التطهر الدائم ومحاولة الوصول إلى الاصطفاء الإلهي الذي يتزامن مع انكشاف الحجب واستنارة القلوب واتساعها ونشأة البصيرة العميقة في القلب المستنير الذي يحظى بالعلوم الوهبية السامية والوعي الكوني المقدس.

ثامنًا * في تجربة الاتحاد يَنشد الصوفي حالة من الكمال أو قل حالة من التأليه أو التحول الكلي إلى الروحانيات أو الوصول إلى حالة الاقتران الروحي التي تمكنه من توقع الحقيقة بعد التخلي عن النفس والأنا والبعد عن الانهماك الشديد في الحياة اليومية.

تاسعًا * تتلازم هذه الحالة وبناءً النفس على أنها مركز للطاقة وحيوية الروح بعد اختفاء النفس البدائية من خلال التحول والتسامي الذي يقضي على الشعور الفطري بالأنانية.

عاشرًا * إن دخول النفس حالة الاتحاد يزودها بقوة خفية من خلال استقبالها لحياة جديدة ليست كسابقتها لأنها حياة الكمال في الله حيث تمتلئ الروح بالغنى الإلهي وتحب من خلال الحب الإلهي.

حادي عشر * لا شك أن نظرية الاتحاد تختلط بالعديد من النظريات الروحية الأخرى مثل نظرية الحلول «Incarnation» وكذا وحدة الأديان، ووحدة الروح في التصور الكلاسيكي للأديان.

المراجع والمصادر:

١ – إبراهيم ياسين:(الدكتور) حال الفناء في التصوف الاسلامي. دار المعارف القاهرة (١٩٩٣ م) .

٢ – إبراهيم ياسين: (الدكتور) الفكر الشرقي القديم واستكشاف البوذية، الطبقة الثانية، مطبعة هلال (٢٠٠٧) .

٣ – ابن عربي: الفتوحات المكية – تحقيق عثمان أمين، وعثمان يحي، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، (١٩٧١ م) .

٤ – ابن عربي: تحفة السفرة، تحقيق محمد صالح الماحي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ.

٥ – ابن عربي: ترجمان الاشواق.

٦ – ابن عربي: كتاب المشاهد، طبعة حيدرآباد الدكن (١٩٥٠ م) .

٧ – أبو حامد الغزالي: معارج القدس، مكتبة الجندي، القاهرة، بدون تاريخ.

٨ – إيفلين أندرهيل: دراسة على طبيعة وتطور الوعي الروحي لدى الانسان، ترجمة ودراسة

د. إبـــراهيم إبـــراهيم ياســـين، دار الوفـــاء بالمنصورة (١٩٨٩ م) .

المراجع الأجنبية:

1. Aldous Huxley ،M. Buke; What is enlightenment; First U. k. Edition; 1988. New York; 1977.
2. Anne Fremantle; Women's way to Good; set Martin's press.
3. Christmas Humphreys; Exploring Buddhism ،London.
4. Coventry Patmore; The Rood ، The Rood and the Flower ،Aurea Dicta.
5. Edumand Cardener; The Epistle of Prayer; Printed from Repwells Edition.
6. Evelyn Underhill; A study in the nature and the Development of Man's Spiritual Consciousness London; 1949.
7. Hilary Evansi; Alternate States of Consciousness Unself; Other self; Greet Brilain By Biddles Limited; 1889.
8. Jalal Aldin Alrumi; The Festival of Spring; Hastie's Translation.
9. Mother Teresa; A gift for God ، Prayers and Mediation; Happork Row New york. 1980.
10. R. A. Nicholson The Mystics Of Islam; London ،1914.
11. Thaddeus Gulas The Lazy Man's guide; Enlightenment.NEW YORK ,1977
12. William James; The Varieties Of Religious Experience; London 1975.